العدد ٨٩٧ — ١١ سبتمبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

الدفاع عن الثقافة العربية ... ... : للأستاذ عمر حليق ١٠٢٠

الطابع القومى فى الثقافة الأزهرية : للدكتور محمد البهى ١٠٢٤

النهضة الأفغانية ... ... : للاستاذ محمد محمود زيتون ١٠٢٨

تحقيقات حول صدر وسدر ... .. : « أحمد بك رمزى ١٠٣١

التشبيه فى القرآن ... ... : « أحمد أحمد بدوى ١٠٣٣

الغزالى وعلم النفس ... ... : « حمدى الحسينى ١٠٣٧

كيف أدعوك (قصيدة) ..... : لصاحب السعادة عزيز أباظه باشا ١٠٣٩

لن أنساك (قصيدة) ..... : للاستاذ ابراهيم محمد نجا ١٠٣٩

(تعقيبات) — بين بلزاك ودستويفسكى — حول رأى قديم فى أحد الكتاب . رجاء إلى القراء ١٠٤٠

(الأوبرت والفهد فى أسبوع) — أعمال المؤتمر الثقافى وتوصياته ١٠٤٤

محاضرات المؤتمر — الشغب فى المؤتمر — معرض الزخرفة الأندلسية

(البريد الأدبى) — إلى هجران — وفاة البارودى — سويا تؤدى معنى معا . ١٠٤٧

٢١ ٠ ٣٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

منطقة أسيوط التعليمية

قلم التغذية

(اعلان اعادة منافسة توريد الأغذية)

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة مراقب عام المنطقة الساعة ١٢ من ظهر يوم الاثنين ١٨ سبتمبر سنة ١٩٥٠ عن توريد الأغذية اللازمة لبعض معاهد ومدارس المنطقة للتعليم العام ومراكز التموين التابعة لها فى العام الدراسى سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ الموضحة بالكشوف المرافقة لكراسة شروط التوريد

ويمكن الحصول عليها من المنطقة مقابل مبلغ ٣٠٠ مليم ثلاثمائة مليم يضاف إليه مبلغ ١٠٠ مليم أجرة البريد المسجل لتقديم طلب على ورقة مدموغة من فئة الثلاثين مليما.

ويجب أن يرفق بكل عطاء تأمين مؤقت طبقاً للشروط وبراعى أن يكون مظروف العطاء مختوما بالجم الأحمر ثم يوضع داخل مظروف آخر ويكتب عليه إسم مقدمه ونوع العطاء والعطاءات التى ترد بعد الموعد المحدد بالاعلان تعتبر لاغية والمنطقة حرة فى قبول أو رفض أى عطاء بدون ابداء الأسباب ٥٨٦٩

18me : année No 897

LeCaire - 11 — 9 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٩٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ ذو القعدة سنة ١٣٦٩ — ١١ سبتمبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة»

الدفاع عن الثقافة العربية

للاستاذ عمر حليق

— ١ —

ليست الثقافة العربية وحدها مهددة «بأدب اللذة» و «أدب الجنون»[1] الذى أصبح يؤلف الجزء الأكبر من الثقافة الأمريكية المعاصرة وبفرض ديكتاتوريته على الثقافات الأخرى فى مواصلات فكرية سريعة أسبابها مثقفة وأساليبها على غاية من الدهاء والحذق لأنها مستمدة من أحدث ما انتجه علم النفس وعلم النفس الاجتماعى من دراسات نظرية وتطبيقية .

فلئن دوت فى العالم العربى الآن صرخات لمقاومة هذا التحدى الثقافى الذى أعرب عن خطورته على الأخلاق والفضيلة جماعة كبار العلماء[2] وعن افساده للذوق والانتاج الأدبى كتاب لهم فى حاضر الأدب العربى مكانة ونفوذ كالأستاذ الزيات — لئن دوت فى العالم العربى هذه الصرخات فما ذلك إلا لأن ذيول هذا الاتجاه قد تخطت نطاق الحلقات الخاصة من أهل الأدب والفن إلى الجامع العامة فأخذ ينفذ إلى صلب التكوين العقلى والنفسانى لجمهرة القراء والكتاب، ويترك أثره السيء فى صميم الأوضاع السياسية والاجتماعية للشعب الغربى بالاضافة إلى تعريضه تراث الثقافة العربية العريقة لفقدان ما حافظت عليه من مقدمات أصيلة أكسبتها هذه المكانة التى تحتلها بين ثقافات الأمم

والذى يعيننا من هذه الكلمة دراسة عناصر الثقافة الأمريكية المعاصرة فهى المسئولة عن هذا التحدى الذى تواجهه الفضيلة والفن فى العالم العربى ، فهذه العناصر هى المصدر الرئيسى للدكتاتورية التى تفرضها على الثقافات والاتجاهات الفكرية الأخرى «هوليود» وآلة دعايتها الجبارة التى من (دواعيها عامية الذهن وسطحية الفكرة وسآمة الجد).. ومن دواعيها أنها تلفظ أهلها على ساحل الحياة فلا يخوضون العباب ولا يغوصون على الجوهر، وتدفعهم إلى هامش الوجود فلا يكون لهم فى متنه مكان مرموق ولا شأن يذكر»[1]

وليست المسألة قضية «جمود» و «رجعية» و «محافظة» فان هذه الكلمات على ما لها من مكانة أصيلة فى التكاتل الاجتماعى أصبحت الآن كالجذام يتجنب الناس لمسها والاقتراب منها ، انما القضية تتعلق بتراث عريق يقف موقفها سلبياً ازاء أخطار تهدد اساسه وتدفعه إلا الانحطاط: وتلفظ أهله على ساحل الحياة» .

ليست الثقافة العربية وحدها هى التى تواجه هذا التحدى. فلقد قام فى الآونة الأخيرة بعض أئمة الفكر الفرنسى المعاصر يحملون لواء النقد اللاذع للثقافة الأمريكية وللفجور والتبسط والتهذل

(١) من مقال الأستاذ الزيات

(١) راجع مقالات الأستاذ الزيات فى أعداد الرسالة ٨٨٢ وما بعدها
(٢) بيان كبار علماء الأزهر (الأهرام ٨ / ٦ / ١٩٥٠)

التي يشوبها - أو على الأقل بشوب ألوانها التي تجد سبيلها إلى صحافة العالم ومجلاته ومنها الشرق العربي - فكتب (فرانسوا مورياك) سلسلة من المقالات التحليلية المنيفة في «الفيجارو» يصف الثقافة الأمريكية بأنها «تشكل في غزوتها الثقافية للثقافة الفرنسية العريقة خطرا لا يقل عن خطر المادية الماركسية» وساند مورياك كاتب فرنسي عنيد هو (اندريه زيجفريد) فعزز رأيه وتناول بالنقد والتحليل المقارن ذيول هذا الخطر الداهم وعواقبه على الانتاج الفكري وصميم المصلحة السياسية والاجتماعية للشعب الفرنسي.(١)

حتى (جون بول سارتر) وهو من دعائم أدب اللذة ثار على الثقافة الأمريكية ثورة لم يكن مبعثها انتقاد عناصر اللذة والمجون التي تهيمن على انتاج امريكا الأدبي والفني فحسب، وانما مبعثها تحليل لوضعية الثقافة الفرنسية ومواقف الضعف والقوة فيها ازاء هذا التحدي الأمريكي(٢)، ولم يكن في موقف سارتر هذا شيء من التناقض؛ فالرجل صاحب مدرسة في الأدب والفن، المجون واللذة من أصولها؛ ولكنه فوق ذلك مثقف فرنسي يأبى الا ان تكون مدرسته وثقافته أصيلة لا تقلد، وعريقة لا تستعير، وعميقة لا تنساق في موكب القشور والسطحية والابتذال الذي يبدأ في هوليود وينتهي في أكثر شعاب الأرض.

ولقد أقر البرلمان الفرنسي مؤخرا قانونا - يمنع استيراد (الكوكا كولا) من أمريكا، لأنها من العناصر التي تؤثر في أسلوب الحياة الفرنسي. وكان البرلمان الفرنسي في هذا القرار جادا وليس بهازل. فقد عبر عن مخاوف الفرنسيين في أن يفقدوا المناطر والمقومات التي تحفظ للمجتمع الفرنسي طابعه ويصون له مكانته بين الثقافات الانسانية.

وأمثال مورياك وزيجفريد وسارتر كثيرون في بريطانيا. فالبريطاني أديبا كان أو سياسيا او من رجال الأعمال يحمل في نفسه نفورا لكل ما يمت إلى العقلية والثقافة الأمريكية بصلة. وهذا النفور لا يستره ولا ينسيه تحالف بريطانيا مع أمريكا في عالم السياسة والاقتصاد.

ونسر أن نقرأ كتابا أو بحثا بريطانيا في السياسة أو الأدب أو الاقتصاد أو شتى مظاهر الفكر الا وتلمس هذا الاستخفاف بالثقافة الأمريكية والنفور منها نفورا لا قبل للبريطانيين بدفعه. وقد أعرب (هارولد لاسكي) عن هذا النفور البريطاني في دراسته القيمة للديمقراطية الأمريكية التي صدرت قبيل وفاته. وكذلك فعل (جفري غورا) في كتابه عن «الخلق الأمريكي» الذي صدر منذ عامين.

إذن فحملة (الزيات) وأقرانه وكبار رجال العلماء والذين يشاركونهم في الرأي للدفاع عن الفضيلة والفن هي حملة صادقة.

فالمرء يولد في ثقافة تتشعب أصولها في تكوينه العقلي ونشاطه الروحي وحياته الاجتماعية. وهذه الثقافة عزيزة عليه لأنها توفر له مستقبلا ينفث فيه ذلك النشاط.

والثقافة الحية تعيش في جماعة حية ترى في ثقافتها امكانيات تنطوي عليها ما تفور به نفس تلك الجماعة من انفعالات ومثل وقيم.

وهذه الأوضاع النفسانية تختلف باختلاف الجماعات وذلك لأسباب بيولوجية وتاريخية تشمل البيئة والوراثة والمقدمات الخلقية وما شاكلها في هذه الوجوه التي تنفرد بها الجماعات عن بعضها البعض.

وللثقافة الحية إذا شاءت أن توفر لنفسها حياة التقدم والرقي أن تسلك سلوكا قوميا فتحتفظ لنفسها بالسلطة الفكرية والسيادة الثقافية بحيث تهيء للمفكر والفنان ورجل الدين أن يقوموا بوظائفهم في تغذية تلك الثقافة بشتى عناصر الحياة والنمو.

وعناصر الحياة والنمو هذه لا تكون بالاستعارة العالة والمحاكاة والتقليد الأعمى، بل باستيعاب الأسس العريقة التي بنيت

(١) راجع في الاوساط الثقافية الرفيعة الشأن في امريكا وبريطانيا واوربا الغربية حملات مجيدة للدفاع عن «المحافظة» وما يعلو لبعض الناس وصفه «بالرجعية» والجمود وقد ظهرت مؤلفات جديدة نافع عنها امثال:

Concervatis M Revisited.
The Case For Concervatism.
Political Community.
Religfon AND Cultur.
The Individual and His Reli Gion.

ويعد الشاعر الإنجليزي الناصر ت س. اليوت من اقطاب هذه الحركة الفكرية التي وصلت بلاغة تأثيرها إلى معقل أدب المجون في «برودوي» احسن الملاهي في نيويورك وفي لندن كذلك حيث تمثل مسرحية اليوت «حفلة كوكتيل» منذ عشرة أشهر بدون انقطاع

(٢) راجع أعداد جريدة «الفيجارو» فبراير ومارس سنة ١٩٥٠

عليها ثقافة الفنان والمفكر ورجل الدين واطلاعه على ثقافات الأمم الأخرى ، فيختار منها ما يستسيغه ذوقه وما يهضمه عقله فيتطعم بها ثم يقدمها إلى ثقافته الوطنية مساغة منقحة على النحو الذى فعله بناة الثقافة العربية حين اتصلوا بحضارات الأغريق والهند والفرس والرومان ، وكما فعله بناة الثقافة الأوربية حين استساغوا من الثقافة الاسلامية فى القرون الوسطى وما بعد .

أما إذا فقدت الجماعة حولها إزاء هذا التقليد الأعمى والاستعارة والمحاكاة الضالة فقل على ثقافتها السلام .

وفقدان الحول يكون بواحدة من اثنتين : اما أن تكبت ألسنة المفكرين وحفظة الدين وأهل الفن كبتاً كما فعل أتاتورك مع الأتراك فأفقد ثقافتهم طابع الحيـــاة والنمو ، وإما أن يقف المثقفون من أهل العلم والفن موقفا سلبياً أمام نشاط القادين والحاكمين ويتركونهم يعيثون بالثقافة القومية وخصائصها ومقدماتها العريقة فسادا فى غير وعى ونباهة .

ولقد صدق (فرانز كافكا)[1] حين قال « إن المثقف فى الدولة الديمقراطية نائب يحمل لواء الدفاع عن مقومات الثقافة وجوهرها ويصونه من عبث العابثين ؛ حتى ولم يوله أحد هذه النيابة . فالدفاع عن الثقافة واجب وطنى كالواجب السياسى والاجتماعى . بل الواقع أن النيابة الثقافية أهم أنواع الالتزامات القومية شأنا ؛ لأنها المصـــدر الذى يستمد منه السياسى دهاءه ، والاقتصادى كفايته ، والجندى معنويته واستعداده ، والمصلح الاجتماعى مواده الخام »

وفى عنق الخاصة من الكتاب والباحثين من أهل الثقافة أمانة مضاعفة إزاء موجات العبث والتحدى . فالكاتب إذ ينشر فى الناس آراءه وانطباعاته وزبدة اختباره وتجاربه يعد مسؤولا عن كل شىء كما قال سارتر[2] عن الحب والموت والكيان الاجتماعى والحياة السياسية والمشاكل الاجتماعية وشتى أنواع النشاط الانسانى . وريشة الفنان وقلم الكاتب وحديث المناصر مهما تقيدت بالانفعالات النفسية الخاصة ليست فى الواقع إلا دعوة إلى معالجة ذلك النشاط الإنسانى . والشاعر حيث يتغنى بجمال الحياة أو يندب بؤسها انما يعد نفسه مسؤولا عن اطلاع الناس على ذلك الجمال أو البؤس .

فحين كتب تولستوى قصته الخالدة عن « الحرب والسلم » كان يعد نفسه مسؤولا عن الحرب وشرورها . وقل مثل ذلك عن المعرى فى (زوميائه) وفى جوته فى (فاوسته) وفى الفارابى (فى مدينته الفاضلة) .

وسواء صارح الكاتب أو الفنان نفسه بهذه المسؤولية وصارح بها الناس أم لم يصارح فهذا ليس بالأمر المهم . انما المهم أنه أنتج ونشر فى الناس وبذلك عبر — واعيا أو غير واع — عن مسؤوليته فى القالب الذى يستعذبه وفى الأسلوب المحبب إلى نفسه وعواطفه ومشاعره .

فكيف إذن يقف الخاصة من المثقفين موقفا سلبيا إزاء هذا العبث الذى يفسد كيان الثقافة التى يعيشون فيها والأسس والمقدمات العريقة التى استمدوا منها نيابتهم ومسؤوليتهم ؟

وقد برر (أندريه زيجفريد) انتقاده للتيارات الأمريكية التى تعصف بالثقافة الفرنسية فقال « إن الثقافة الفرنسية لا تستطيع مواجهة هذه التيارات فى قوة ومناعة إلا إذا استشعر المثقفون الفرنسيون مسؤوليتهم . فالثقافة لا تحفظ طابعها ومقوماتها العريقة إلا إذا صمد لها العارفون بها المؤمنون بعزتها المحبون لها من أبنائها الخلص »

والتصدى للتيارات الأجنبية يتطلب مزيدا من الدفاع وقسطا أكبر من الحماس والنشاط حيث تكون تلك التيارات صادرة عن ثقافة تسندها دولة قوية البأس وافرة العدة الاقتصادية والسياسية .

ففى الثقافة الاسكندنافية مثلا عناصر كثيرة من المستحب الصالح الذى قد يستهوى التقليد والمحاكاة ، ولكن الدول الاسكندنافية ضئيلة الحول فى عالم السياسة والاقتصاد ، ولذا فان تياراتها لا تندفع نحو الثقافات الأخرى فتفرض نفسها عليها على نحو ما تفرضه ثقافة الأنجلوسكسون على ثقافات المعسكر الديمقراطى ،

(١) الكاتب التشيكوسلوفاكى المبدع الذى مات فى ربيع حياته .
(٢) راجع مجلة Commentry عدد مايو سنة ١٩٥٠

وثقافة السوفييت على منطقة نفوذه فى شرق أوروبا والشرق الأقصى . وقد ضرب جون بول سارتر مثلا بألمانيا ابان العهد الهتلرى وقال ان المواطن فى هولندة وبلجيكا ولوكسمبرج مثلا كان مدفوعا إلى التمـــاس الثقافة الألمانيه لأنه كان يشعر بانه سيصبح عاجلا أو آجلا جزءا منها . وما ذلك الا لأن النازية كانت على قسط كبير من القوة والبأس السياسى والاقتصادى كانت سببا فى هذه الهزيمة التى شاعت فى المواطنين الهولنديين والبلجيكيين والتى سهلت لألمانيا احتلال هذه الشعوب فى يوم وليلة وسهل لها كذلك ادارتها وتسيير شئونها المحلية بالتعاون مع الكثرة من المثقفين وغير المثقفين .

وتاريخ الاستعمار الأوروبى فى شرقنا يؤيد ذلك .

اذن فعلى المثقفين مسئولية سياسية وقومية بالاضافة إلى الواجب الأدبى والفنى فى الدفاع عن مقدسات الثقافة التى نشأ فيها وتعرف على سرائرها وعرف بها الناس. ووزر القصور مضاعف ، والصمت فى مثل هذه الحالة جريمة قومية .

وقد يحلو لبعض الخاصة من أهل الفكر أن لا يتقيدوا بالقوميات فى معنـــاها الضيق المحدود ، وألا يعترفوا بان للفن والفكر حدودا ومعالم جغرافية وزمنية . فهـــذا لون من الاتجاه الفكرى كلما امعنت فيه الدرس وجدته مناقضا لطبيعة السلوك الانسانى؛ فعلم الاجتماع ينفيه وعلم النفس لا يقره . والسلوك الشخصى لمعظم الداعين له ينقضه نقضا تاما .

فالعصبية القبلية فى حقيقتها الاجتماعية مستمدة من علاقة الفرد بعائلته وامه وابيه ، وإلى أن يولد مجتمع تزول منه هذه العلاقة الطبيعية فان العصبية ستظل من الحقائق الاجتماعية الراسخة . المرء حيوان اجتماعى ، وهو يألف الجماعة التى تبادله مشاعره وتشاركه طبائعه وتبادله المحبة والألفة . وإلى أن يتطور المجتمع إلى وحدة متجانسة فى مشاعرها وطبائعها فان المرء سيظل يألف القوم الذين هو منهم ، ويعتز فى قرارة نفسه بالقومية التى يدينون بها . وتاريخ الحضارة لم يحقق — ولا يبدو انه يستطيع أن يحقق — هذه الوحدة وهذا التجانس .

فمن أبرز دعاة «العالمية» رجل يعلم عن طبيعة الكون مالم يعلمه انسان آخر ؛ ذلك الرجل هو (البرت انشتاين) . وقد نشر انشتاين بحوثا فى السياسة والاجتماع وهى غير مؤلفاته الرفيعة الشأن فى الرياضيات الفلسفية . وحيث تقرأ ما كتبه انشتاين عن القومية و«العالمية» تشعر بأنك أمام رجل ، العالم بأسره وطن له فهو لا يعترف بحدود ولا يتقيد بولاء «قومى» معين . ولكن ذلك لم يمنعه فى السنوات الأخيرة أن ينشر النداء تلو النداء يستجدى فيه الناصرة الأدبية والسياسية والمادية للوطن القومى اليهودى فى فلسطين . فعالمية أنشتين شطحة فلسفية لم تصمد أمام الحقائق الاجتماعية وطبيعة السلوك الانسانى . فهو يهودى قومى قبل أن يكون مواطنا عالميا . وقد وجه كاتب هذه السطور فى السنة الماضية اسئلة بهذا المعنى إلى البرفسور انشتاين خلال محاضرة عن «الجامعة العبرية بالقدس وضرورة مؤازرتها» القيت فى معهد الدراسات المتقدمة فى جامعة برنستون هنا فى امريكا حيث يعيش اليوم انشتاين . فكان جواب هذا المواطن العالمى مايلى بالحرف الواحد: «اسرائيل لى وطن روحى . وانى أعز فى اسرائيل ثقافة العبريين وهى ثقافة لها مكانتها فى الفكر العالمى وهى جديرة بالاعزاز والاحياء . »

ويمكنك أن تستنتج ما شئت من سلوك انشتاين هذا ولكنك لن تستطيع أن تنفى عن هذا المواطن «العالمى» قوميته الثقافية ولا أقول ولاءه السياسى لاسرائيل. فليس المقام هنا ليسمح باستعراض النقاش السياسى العنيف الذى دار بين البروفسور انشتاين وبين الدكتور فيليب خليل حتى المؤرخ العربى المعروف على صفحات الجريدة المحلية فى برنستون وكيف كشف انشتاين عن حقيقة نعرته القديمة وتعصبه اليهودى على أوضح ما تكون النعرات ويكون التعصب .

(قسم بقية) نيويورك عمر عليوه

الطابع القومى
في الثقافة الأزهرية

(ألقيت فى اليوم الأول من أيام المؤتمر الثقافى العربى الثانى

للدكتور محمـــد البهى

هناك فى التوجيه التربوى نظرتان مختلفتان ، أو اتجاهان متعارضان : اتجاه يهدف إلى تكتل فى نطاق خاص صونا لجماعة معينة أو شعب معين ، وهو مايعرف بالاتجاه القومى ؛ وآخر يرمى إلى تحطيم الفواصل الخاصة بين الجماعات أو الشعوب ، أملا فى خلق وحدة عامة أو اتحاد عام بينها ، حتى يستقر بين الناس جميعاً ما اعتيد تسميته « السلام العام » ، وهـذا الاتجاه هو ما يعرف بالاتجاه العالمى فى التربية والتوجيه

ويقال ضد نزعة القومية فى التربية : أنها ظاهرة من ظواهر البدائية فى الجماعة ، لأن مثل هذه النزعة تعتمد على ضرب من المبالغة فى تقويم المميزات الخاصة بجماعة ما والرغبة فى صيانة هذه المميزات ، والتقويم على هذا النحو دخل فيه عندئذ عنصر غير ذاتى ، وهو انتساب نوع من الخصائص للجماعة المعنية ، ولم يقف عند حد جوهر الخصائص ، والمبالغة فى التقويم تنشأ عادة عن ضيق فى أفق التفكير أو عن سطحية النظرة إلى الأشياء ؛ وضيق الأفق ، وكذا سطحية النظرة من أمارات البدائية فى تفكير الفرد والجماعة .

لكن قد يقال : ان الاتجاه القومى فى التربية لا يدل حتما على بدائية فى التفكير ، بل قد يصدر عن حاجة قوية فى الجماعة إلى تكتل ما أو شعورها بالضعف أو الاضطهاد من جماعة أخرى. والالتجاء فى مقاومة الضعف أو مدافعة الاضطهاد إلى اذكاء الروح القومية عن طريق التنشئة والتربية لايعبر عن بدائية ، بل بالعكس يم عن رقى فى تفكير الجماعة . إذ الشعور بمعنى الجماعة — وهو وراء الأشخاص والأفراد — واتخاذ وسيلة غير حسية فى مقاومة الضعف أو الاضطهاد ، وهو وسيلة التربية هنا ، يدل على تطور فى التفكير .

وسمى كل من المفكرين السياسيين الشرق والغربى ، أو الشيوعى والديمقراطى ، فى وقتنا الحاضر إلى التكتل بتنبيه كل منهما إلى مزاياه الخاصة لا يعد ظاهرة من ظواهر البدائية ، إذ هو وليد العبقرية السياسية وقيادة الجماعات . وهـــو فن لم يصل البدائيون بعد إلى ادراكه فضلا عن ممارسته

وربما كان تصوير الاتجاه القومى فى التربية بأنه نزعة بدائية يتصل بالدعاية التى يباشرها أرباب الاتجاه الآخر عندما يحاولون تبرير وجود اتجاههم ووجوب سيادته .

أما الاتجاه العالمى فقد كثر الحديث عن مزاياه منذ بداية القرن العشرين وقيل فى تفضيله: إنه يدعو إلى الاخوة الانسانية ، يدعو إلى محو الفوارق التى أقامتها التقاليد والعادات بين الأجناس والجماعات ، يدعو إلى إزالة أسباب الحقد من نفوس البشر قاطبة ، يدعو إلى إضعاف العقبات التى تحول دون تمكين الأفراد من استغلال مواهبهم الذهنية أو الاقتصادية أينما وجدوا ، يدعو على وجه الاجمال إلى الحرية والأخاء والمساواة ... إنه من وحى الديمقراطية وهدف الأحرار .

ويجب فى نظر أصحابه ألا يأخـذ الدين ، ولا التقاليد والعادات ، ولا اللغة ، ولا مقومات الحياة فى الجماعة الخاصة على وجه العموم ، ولا تاريخها وما انطوى عليه من أحداث كان لها أثرها فى خلق شخصيتها ، الاعتبار الأول فى التوجيه . وبالأحرى يجب — تمكينا لمعنى الديمقراطية فى التربية — أن تغفل هذه المعانى أو تهمل ، على الأقل من الوجهة الرسمية ومن المباشرين الرسميين لشئون التعليم

وقد برز هذا الاتجاه اللاقومى فى التربية بعد الحرب العالمية الأخيرة فى صورة جديدة وأخذ طريقاً رسمياً بين حكومات العالم المختلفة ، واحتضنته مؤسسة الثقافة والتعليم والتربية التابعة لهيئة الأمم المتحدة (اليونسكو)

لكن مما يأخذه بعض المربين على هذا الاتجاه أنه لا يعدو دائرة الأمل إلى واقع حياة الأمم على السواء . ويعللون ذلك بأنه ما دامت هناك أمم كبرى وأمم صغرى . ما دامت هناك

قوة مادية لها السلطان فى التوجيه وقيم أخرى معنوية باقية فى دائرة «المثل» التى لا ظل لها فى الوجود الواقعى سوف لا يتحقق معنى الأخاء والمساواة ، وبالتالى لا يتحقق السلام العالمى الذى هو الهدف الموعود لمذهب « عالمية » فى التربية والتوجيه

على أن بعضا آخر من المربين لا يحسن الظن فوق هذا بدوافع هذا الاتجاه ، ويرميه بأنه وسيلة من وسائل الخداع التى تستعملها الدول الكبرى وهى تلك التى لها القوة المادية فى الصناعة والاقتصاد ، ولها القوة العلمية كذلك لاستغلال الأمم الصغرى وهى المختلفة عنها فى هذه النواحى من الحياة ، لكن لها ثروة كبيرة فى المواد الأولية

وهذا البعض يحاول أن يدلل على سوء ظنه من واقع الأمم الكبرى نفسها ، فيذكر أن الأمم الكبرى ـ سواء عن طريق الحكومات فيها أو عن طريق الجمعيات المختلفة هناك ـ تعنى بالاتجاه القومى فى التربية ، تعنى فى توجيه الناشئة بمقومات هذا الاتجاه ، وهى الدين ، والتقاليد ، واللغة وتراثها الماضى الذى يتمثل نمط تفكيرها وتاريخ تطورها كجماعة خاصة

حتى العادات التى لا تتفق على الاطلاق مع النزعة العالمية ـ كما هو الحال فى أمريكا وانجلترا وجنوب أفريقيا من التفريق بين البيض والملونين فى المعاملة والتقدير ـ لا تلقى معارضة جدية من السلطات الرسمية هناك ، وهذه السلطات بينها تدعو الشعوب الأخرى إلى تطبيق الاتجاه العالمى فى معاهدها التعليمية .

ويقولون إن من يزر كلية « ايتون » بانكلترا يدرك ادراكا واضحا عناية القائمين على التوجيه فيها بعناصر القومية فى التربية من دين البلد ، وتقاليده ، والتاريخ الماضى له . فطلاب هذه الكلية ـ وهم أبناء الطبقة الارستقراطية فى انجلترا ـ يفتتحون الدروس اليومية كما يختتمونها بالصلاة فى كنيستها التقليمية

وجامعة اكسفورد ترجع شهرتها فى الغالب إلى رعاية التقاليد فى كثير من نظمها ، والانكليز عرفوا على العموم بالحرص على التقاليد . وقصر ثقافتهم اللغوية على الوطنية مظهر من مظاهر هذا الحرص . إذ قلما نجد بين المثقفين فيهم من يجيد لغة أجنبية أخرى

مثل هذه الظواهر تحيط الاخلاص للنزعة العالمية فى التربية من جانب الأمم الكبرى ببعض الشك عند من لا يحسن الظن من المربين بدوافع هذه النزعة ، وتجعله يتساءل فى حيطة : أليس أولى بالأمم الضعيفة ألا تزيد فى عوامل ضعفها بالتحلل أو بالخروج عن مقوماتها الذاتية كجماعات خاصة ؟

إن كيان الأمة ـ كجماعة ـ يعتمد على تاريخها واتجاهها الخاص فى التفكير ، ودينها ولغتها وتقاليدها أكثر مما يعتمد على مصدر الثروة المادية فيها وعلى موطنها الجغرافى الخاص . فان هى عملت على اغفال هذه المقومات فى التنشئة والتربية أصبحت أفرادا منثورة أو انقسمت إلى طوائف متعددة تختلف حينئذ فى الانتساب إلى اتجاهات فكرية متعارضة وتتبع مذاهب مختلفة فى السلوك وتقدير قيم الحياة .

الاتجاه العالمى أمل يجب أن نباركه فى حيطة وحذر . ولا غنى لنا عن الأخذ بالاتجاه القومى فى تربيتنا كشعوب صغيرة ، لا اقتداء بواقع الأمم الكبرى ، ولكن محافظة فحسب على كياننا ووجودنا الخاص

وإن فكرة هذا المؤتمر الثقافى وعقده من ممثلى الشعوب العربية لمناقشة الأسس التربوية السليمة فى توجيهها مشتقة من الرغبة فى الحرص على هذا الكيان الخاص

ومقومات شعوبنا هذه كأمم تعيش فى جو عربى اسلامى تتصل اتصالا وثيقا بالدين والتقاليد واللغة العربية وأدبها ، وبالفكر الاسلامى واتجاهاته ، وبتاريخ الأطوار السياسية التى تتعلق بنظم الحكم والتغييرات الداخلية وعوامل هذا التغيير فى الأمة الاسلامية . وبعبارة أخرى تعتمد مقومات هذه الشعوب على ماضيها فى المعرفة والفكر والتاريخ . وذلك مايمثله التراث الاسلامى

والأزهر منذ وجوده ـ فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى ـ يعنى بهذا التراث الاسلامى : يعنى بالدين فى صوره المختلفة ، إن فى دائرة العقيدة ، أو التشريع ، أو السلوك ، ويعنى باللغة العربية وما يتصل بأسلوبها وأدبها ، ويعنى بدراسة الحركات السياسية الاسلامية منذ الدعوة إلى الاسلام حتى تدخل النفوذ

الأوربى فى توجيه سياسة البلاد الاسلامية فى الوقت الحاضر .

بل ذهب بعض علماء الأزهر فى الحرص على هذا التراث والعناية به إلى حظر دراسة أية مادة أخرى لا تتصل بالاسلام نفسه وإن اشتغل بها كثير من علماء المسلمين فى كل العصور ، وكان لها أثر فى مجال الفكر العربى الاسلامى .

واستمر هذا البعض من العلماء على هذا الحظر مدة طويلة إلى بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر . ومن أجل ذلك رمى بالجمود مرة والتعصب مرة أخرى . وربما كان لهذا الحظر على هذا النحو - مضافا إلى عوامل أخرى سنذكرها - أثر فى تضييق المجال أمام الثقافة الاسلامية

ولم يكن موقف هؤلاء المتشددين إلا إسرافا فى الغيرة على التراث الاسلامى . فالأزهر يحق موطن الدراسة القومية فى الشرق الاسلامى . ولقد كان مصدراً للحركات السياسية الوطنية فى مصر وغيرها من البلاد العربية ، كما كان مدرسة لتخريج زعماء الفكر وقواد النهضات التحريرية من النفوذ الاستعمارى فى العالم الاسلامى .

وليس ذلك لأنه كان المعهد الوحيد أو الرئيس فى القرن التاسع عشر لنشر الثقافة والتعليم فى مصر ، بل لأنه كما ذكرنا مصدر الثقافة القومية .

ارتبط الأزهر بهذه الثقافة الاسلامية ارتباطاً عرفت به فى العالم الاسلامى حتى صار تلازمهما فى تصور الشعوب الاسلامية الأخرى أمراً واضحاً . إن ذكر الأزهر ذكرت الدراسات الإسلامية، وإن أشير إلى الثقافة الاسلامية عرف الأزهر كمصدر لها

والأزهر إن تطاول على غيره من معاهد العلم فى الشرق بهذه الصلة فى معرض الاشادة بالمحاسن ، فهذه الصلة نفسها قد جرت عليه كثيراً من المتاعب ، كانت سبباً فى محاربته وتضييق الخناق عليه

فالاستعمار الأوربى للشعوب الاسلامية اتخذ وسيلتين رئيسيتين للوصول إلى تحقيق هدفه :

(أ) عمل على كبت النزعة القومية فى الشعوب الاسلامية أينما وجدت هذه النزعة ، فى التعليم والتشريع ، أو فى مجال الاقتصاد وميدان الصناعة ، أو فى دائرة العادات والتقاليد .

(ب) ساعد على نشر الثقافة الغربية فى هذه الشعوب عن طريق ترويج اللغات الأوربية بشتى الوسائل وحمايتها من منافسة اللغة العربية لها وهى اللغة الوطنية ، وكذا عن طريق تمكين الفكر الأوربى من أن يأخذ طريقه نحو السيطرة على توجيه الجماعات الشرقية الإسلامية .

والذى يعنينا من ذكر الوسيلة الأولى بيان أنه : لماذا كان الأزهر هدفاً لاضطهاد غير مباشر من حملة الاستعمار الغربى ...

أخذ اضطهاد الأزهر صوراً عديدة : أكثر لسان الاستعمار من الحديث أولا عن جموده وتعصب رجاله وتشددهم فى تعصبهم ؛ ثم تطور هذا الحديث إلى ذكر أن الأزهر يبعد قاصديه عن الحياة العامة أو يحول بينهم وبين الانتفاع بالحياة المادية والتمتع بالوجاهة الاجتماعية ، ثم انتقل إلى ادعاء أن الأزهر عقبة فى تقدم مصر وسيرها نحو المدنية الأوربية أو الأمريكية . ولا زلت أذكر قصة تلك الآنسة الفلسطينية التى طلبت فى عام سابق على العام الماضى معلومات عن الأزهر واتجاهاته التربوية والتعليمية كى تستعين بها على إعداد رسالتها فى قسم الماجستير بالجامعة الأمريكية بالقاهرة . وأدهشنى منها أول سؤال وجهته إلى وهو : هل الأزهر حقيقة عقبة فى طريق رقى مصر ... فلما سألتها عن تحديد مظاهر ذلك أجابتنى بأنها قرأت مضمون السؤال فقط فى كتاب تربوى حديث لأستاذ أمريكى .

وأثرت فعلا هذه الحملة المغرضة على الأزهر وعلى المنتسبين إليه وحالت بين رجاله والمساهمة فى الحياة التعليمية فى مصر فى المعاهد الأخرى غير المعاهد الدينية ، واضطر كثير منهم تحت ضغط هذه الحال إلى الانزواء عن الحياة العامة والاحتكاك بغيرهم على مسرح عام .

وهذا الذى نسب إلى الأزهر فى مصر من جمود وتعصب وكونه عقبة فى طريق التقدم رمى به جامع الزيتونة فى تونس وما شاكله فى مراكش وبغداد ودمشق وأم درمان من معاهد الثقافة الإسلامية .

ولم يقف الأمر فى محاربة هذه المعاهد عند حد تصويرها بهذه الصورة المنفرة ، بل اتخذ معها عمل ايجابى آخر هو محاولة الحيلولة

دون قوم بعثات من البلاد الاسلامية التى لم يكن بها ما يشبه الأزهر فى نظامه وهدفه إلى مصر لتلتحق بالأزهر وتتم دراستها فيه . وإن لم تأخذ هذه المحاولة صورة المنع الواضحة . فوسيلتى مثلا أنشأ أيام حكمه معهداً اسلامياً فى « هرر » له مظاهر نظم التعليم فى الأزهر وأرسل إليه طائفة من أبناء المسلمين فى ليبيا بجانب أبنائهم فى الحبشة وأريتريا والصومال الايطالى .

والرحالة الألمانى « بول أشيد » يتحدث فى كتابه — (الاسلام قوة الغد) الذى أخرجه فى سنة ١٩٣٧ بعد رحلة ست سنوات فى البلاد الاسلامية — عن مكانة الأزهر كموطن للثقافة الاسلامية ومعقل للحركات الوطنية التحريرية من الاستعمار الأوربى؛ وبعده وأمثاله فى شمال أفريقيا والبلاد الاسلامية عاملا من عوامل ثلاثة — لو نجت من الاضطهاد الغربى — تقوم عليها النهضات الاسلامية وقوة العالم الاسلامى فى غده . والعاملان الآخران فى نظره هما: قوة النسل فى الشعوب الشرقية ، والثروة الاقتصادية الكامنة فى أراضيها .

خرج الأزهر عن عزلته رويداً رويداً منذ بداية القرن العشرين وطلبت منه المساعدة الرسمية فى الوزارات والمصالح الحكومية المصرية ، وعلى الأخص فى وزارة المعارف . وأظهر المتخرجون فيه أمانة واتقاناً وحسن أداء فيما يقومون به من عمل هناك ، حتى فيما لم يكن متصلاً بالمواد الأساسية فى ثقافتهم ، كعملهم فى مصلحة الأموال المقررة بوزارة المالية .

ونرجو أن يكون طلب المساعدة الرسمية من الأزهر وليد تصحيح الفهم عنه كمعهد تمثل الثقافة فيه الاتجاه القومى ، وليس وليد الحاجة التعليمية أو السياسية . عندئذ يكون تفاؤلنا بمستقبل النهضات الوطنية عندنا فى الشرق العربى ليس من قبيل السراب الخادع .

إن بالأزهر الآن أكثر من ألفين من طلاب البعوث الوافدة إليه ينتسبون إلى أكثر من عشرين موطن اسلامى ويتكلمون شتيتاً من اللغات ولهم عادات مختلفة ، ولكن لغتهم المحببة هى العربية ، ودينهم المعتقد هو الاسلام ، وتقاليدهم المفضلة هى المتصلة بالأمة الاسلامية .

الأزهر يمكن أن يسام مساهمة فعالة فى دفع النهضة الشرقية الوطنية خطوات إلى الأمام لو أزيلت من طريقه العقبات.

إن المرحوم الشيخ محمد عبده اشتغل بالسياسة ، واشترك فى الحركات الوطنية الاستقلالية فى الفرق الثورية ، واطلع على الفكر الأوربى ، لكن أثر أخيراً فى دفع الحركات الوطنية الاستقلالية فى الشرق عامل التربية ، وأثر فى التربية أن تكون قوية ، وأثر فى عناصرها أن تكون ذا صلة بالتراث الاسلامى، ورجا أن يكون الأزهر قواما على هذا التراث .

• • •

الأزهر لا غنى عنه ، وهو باق فى العالم الاسلامى ما بقى الاسلام فى تصور الشعوب الإسلامية وما بقى عقيدة لأبنائه . فبدلا من أن توضع العقبات فى طريق رسالته — وهو الخطر بعينه على الاسلام وعلى الشعوب الإسلامية والعربية — يجب أن تتضافر القوى كلها فى صدق واخلاص لتمكينه من أداء رسالته.

والأمل معقود على الفاروق قائد النهضة العلمية والتعليمية والدينية .

محمد البهى
أستاذ الفلسفة الدينية بكلية
أصول الدين بالأزهر

إدارة البلديات العامة
مجاري

تقبل العطاءات بمجلس بور سعيد البلدى حتى ظهر يوم ١٠ / ١٠ / ١٩٥٠ عن توريد أدوات لازمة لورشة ومحطة المجارى وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس نظير ٢٠٠ مليم خلاف أجرة البريد ٥٨٥١

النهضة الأفغانية

بقلم الأستاذ محمد محمود زيتون

شهد الإسلام فى القرن الثامن عشر الميلادى ركودا ، شعر معه الغيورون بضرورة البحث والنهوض . فقد هب محمد بن عبد الوهاب بحركة « تجديد للدين الإسلامى » وأخذت دعوته تنتشر من نجد إلى ما وراءها من سائر بقاع الإسلام ، حتى قامت نهضة دينية إسلامية فى البنجاب ؛ وجدت صداها فى بلاد الأفغان . ولا سيما عندما عانى الإنجليز الأمرين فى فتح الهند ، إذ وقفت الحركة الوهابية الهندية فى وجه الاستعمار ، بينما أخذ السنوسى فى الجزائر بنظم « الإخوان » (١) ويعدهم لفتح كل مرفق اجتماعى واقتصادى مستمداً نشاطه من التعاليم الإسلامية . وإذ بيت الاستعمار الإيطالى نية الغدر والانقضاض على بلاد المغرب ، فقد استعدت السنوسية لهذا الخطر ، فأعلنت الجهاد المقدس ، وأخذت للأمر ما يتطلبه من السلاح والتموين والزهد جميعا .

وتبلورت هذه اليقظة (٢) ، فلم يكن بد من انضواء المسلمين تحت لواء « الجامعة الإسلامية » ، تنهض جناحها الأيمن شرقاً على يد الوهابية التى لم تأل جهداً فى تطهير الدين مما اعتوره من شوائب كادت تطمس جوهره فى عصور الظلام . بينما تنهض جناحها الأيسر على يد السنوسية التى أدركت صميم الاسلام كدين ودنيا وعقيدة وعمل . عبادة وسياسة ، وحق وجهاد ، ومصحف وسيف وبالسنوسية والوهابية قامت حركة التحرير والتنوير فى هذا القرن الصاخب بالاستعمار وأساليبه

ومما هو جدير بالذكر ، أن هذه الحركة لم تخالطها نزوات التعصب ، بل ذهبت إلى أبعد حد فى التسامح ، واقترنت بالدعوة إلى الاقتباس من الغرب كل ما ينفع ولا يضر . دعا إلى ذلك المصلح الإسلامى الهندى ، السيد أحمد خان ، غير عابىء بالجمود الذى خيم ردحاً من الزمن على كل أفق إسلامى ، حتى تلألأت شرارة الإصلاح فى كل مكان ، وقامت ثورة « تركيا الفتاة » سنة ١٩٠٨ م كنتيجة لازمة حاتمة لهذه المقدمات الدينية السليمة .

فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى فتح الهند السلطان محمود ابن سبكتكين الفرنوى التركى ، فانهارت أباطيل البراهمة أمام كتائب الإسلام المظفرة . واقتفى أثره من الأفغان السلطان محمد الغورى الذى ضم دهلى إلى ممالكه سنة ١١٩٤ م . ونسج على منواله القائد بختيار الأفغانى الذى طهر البنغال وكوجرات من البوذية ، فكانت هذه الحركة الجهادية إرهاصا بقيام دولة إسلامية فى الهند عاصمتها دهلى ، ظل الزمان يحالفها من القرن العاشر إلى أوائل القرن التاسع عشر . حيث أخذت الضربات الإنجليزية تتوالى على هذا الصرح العتيق ، الذى لم يكن بد من أن يتصدع بعد أن صمد طويلا أمام الطغيان ، وشهد الدهر كم كانت همة الأفغان مرادفة للجبال الرواسى التى — على الرغم من تلوح عمائمها — أوقدت نار الحمية فى نفوس أبطالها .

فإذا كان القرن التاسع عشر ، بعث نابليون بونابرت الجنرال غاردان لمفاوضة إيران الدخول فى محالفة مع فرنسا لفتح الهند ، فأسرعت إنجلترا إلى الأفغان لتتخذ منها درعاً ضد إيران ، ولما قامت الثورة الأفغانية التجأ أخو الصدر الأعظم إلى الإنجليز يستعديهم على أخيه دوست محمد خان وهو إذ ذاك حليف لروسيا .

اهتبلت إنجلترا هذه الفرصة وجردت حملتها على الأفغان سنة ١٨٣٩ م ، وبعد عامين ، زاد فيها حنق الأفغانيين الأحرار على الناصبين الإنجليز ، فقتل المعتمد البريطانى فى كابل ، ومعه عدد من ضباط الاحتلال . ولم يزل الأفغانيون يناصبون الإنجليز العداء حتى نصبوا الكمين لهم فى (خورد كابل) فاستأصلوا حوالى سبعة عشر ألفاً من الإنجليز الذين استماتوا بحاميتهم فى الهند على نسف قلاع العاصمة ، وبذلك ثأروا لأنفسهم .

أما وقد شمخ الأفغانيون بأنوفهم للاحداث ، وعافوا الاستبداد ولم يستنيموا للضيم فإن الإنجليز رأوا أنفسهم مضطرين لتغيير نظرتهم إزاء الأفغان الحر الأبى ، وحاولوا أن يبثوا عقارب السوء فذهبت محاولاتهم أدراج الرياح ، وأوقعوا خلال الصفوف

(١) السنوسية دين ودولة : للدكتور محمد فؤاد شكرى .
(٢) حاضر العالم الإسلامى : لوثروب ستودارد وشروح شكيب أرسلان .

يبغون الفتنة ، فارتدت سهامهم إلى نحورهم . ولكن الأفغانيين وقفوا صفاً واحداً كأنهم بنيان مرصوص إذ تضافر الشعب والسلطان . وكان الدورانيون — وهم الأسرة المالكة ويبلغون ثلث الأفغان — أشد اعتزازاً بالوحدة أمام الدسائس الإنجليزية من جهة ، والأسلحة الفتاكة التي يتذرع بها الدخيل البارد من جهة أخرى .

حقاً لقد كان الشعب الأفغاني أعزل من كل سلاح إلا التضامن والإيمان بالحق ، والجهاد حتى يتحرر الوطن من الطغاة المعتدين .

ولما مات (دوست محمد خان) سنة ١٨٦٣ دب الشقاق بين أولاده ، وظن الإنجليز أنها ثغرة يستطيعون النفاذ منها إلى إشباع مطامعهم ، ولكن فوت عليهم هذه الفرصة ما توارثه الأمراء الأفغانيون من بغض الاحتلال ، وأعداء الوطن . أليس أبوهم القائل للورد لورنس : « إن كنتم تريدون أن نبقى أصحابا ، فلا تكرهوني على قبول ضباط انجليز في بلادي » ؟ وضرب (شير علي خان) أروع المثل في الإباء إذ استعصى عوده على الإنجليز الذين غمزوا جانبه فلم يلن لهم ، ولم يهن هو على نفسه . فأحنقوا على السلطان ابنه (يعقوب خان) وحرضوه على أبيه ، واحتضنوه وأفسحوا له صدرا باردا منذ أخذوه إلى إنجلترا ، ولقنوه تعاليمهم الاستعمارية ظاهرها وباطنها ، كما أغروا الفقراء بالعمل في الحاميات البريطانية بالهند لقاء أجور عالية استعداداً لتجنيدهم ضد بلادهم في القريب المنتظر على ما كانوا يزعمون .

وفي سنة ١٨٧٨ أعد الإنجليز عدتهم للإجهاز على الأفغان ، فإذا بأمراء الهند ومرتزقة البنجاب والسيخ وأخلاط من المنبوذين وعباد البقرة والعنزة يدخلون كابل بقيادة اللورد دوبرتس .

وفر (شير علي خان) إلى مزار شريف في القسم التركي من بلاده ، وكان قد استدعى ابنه يعقوب وأمنه على نفسه ثم سجنه حتى إذا دخل الإنجليز كابل أطلقوا سراحه ونصبوه أميرا وعقدوا معه معاهدة (غاندامق) ، وأملوا عليه طبعاً كل رغائبهم التي يشوا من نيلها من أبيه ، غير أنهم لم يكادوا يتمتعون بما ظفروا به حتى اندلعت نار الثورة الوطنية من جديد فخلعوا يعقوب خان ، ونفوه إلى الهند ، وأخذوا يولون ويعزلون بعد موت (شير علي خان) سنة ١٨٧٩ حتى هدأت البلاد على يد الأمير (عبد الرحمن) وتم الجلاء عن البلاد ، وبذلك توطد نفوذه ، وأقام مصانع السلاح والذخيرة ، ودرب الجيش ، ووسع الحدود شرقا ، وباتت البلاد في أمان واطمئنان حتى مات سنة ١٩٠١ .

وخلفه ابنه الأمير (حبيب الله خان) الذي لم يشأ أن يطمن الإنجليز من الخلف حين شبت الحرب العامة ، ولم يصغ إلى تحريض الألمان والأتراك حتى اغتيل وهو في مشتاه بجلال آباد. وخلفه ولده (أمان الله خان) ، فبايعه الشعب دون أخيه ولي عهد أبيه نصر الله خان ، وبغير موجدة من أحدهما على الآخر ..

فلما استقرت الأمور ، وأجمعت العناصر المختلفة على المطالب الوطنية ، صرت بريطانيا خدها ، فبدأ الجيش الأفغاني زحفه مخترقاً حدود الهند ، وأبلى أحسن البلاء . وكانت الحرب سجالا وسئم المحاربون الإنجليز بعد أن توالت عليهم الضربات من جراء سياستهم الناشئة ، فطلبوا الهدنة وتم الصلح سنة ١٩٢١ على استقلال الأفغان في سياسة الداخل والخارج ، مع تحديد المنطقة الحرام بين الهند والأفغان .

وإيمانا من الملك بنفسه ، واعتزازاً بالاستقلال التام الذي يؤخذ بالجهاد ، ولا يستجدى من أحد ، أسرع — قبل عقد الصلح — إلى إرسال سفرائه إلى طهران وأنقره ، كما عقد معاهدة مع تركيا وروسيا ، فكان لهذه السياسة نتائجها العملية في جعل الاستقلال حقيقة واقعة .

ولما فرغ الشاه من المشاكل الداخلية في بلاده ، شرع يعمل على توطيد الروابط السياسية بينه وبين إنجلترا من جهة ، والدول الإسلامية من جهة أخرى ، ولا سيما تركيا ومصر ، وبذلك لم يهمل الأواصر المتينة التي تربط الأفغان بالعالم الإسلامي ، حرصاً منه على المشاركة الفعالة في آلامه وآماله وفي سنة ١٩٢٩ خلعه الشعب المسلم المستنير لما رأى من تطرفه الأوربي وخلفه

جلالة الملك الحالى محمد ظاهر .

فى معترك هـذا النضال أنجبت الأفغان فيلسوف الشرق (السيد جمال الدين الأفغانى) الذى يعتبر أول باعث لفكرة الجامعة الإسلامية ، وأستاذ المفكرين الأحرار ممن تلقوا على يديه تعاليم النهضة الفكرية، ورفعوا مشاعل الاستقلال فى وجه الاستعمار الجاثم على صدر العالم الإسلامى .

كان أبوه السيد صفدر ممن يخشى نفوذهم (دوست محمـــد خان)، ولما بلغ جمال الدين الثامنة عشرة . كان قد استكمل علومه فى كابل ، فارتحل إلى الهنـد حيث تعرف على أحوالها فى خلال السنتين اللتين قضاهما بها . ثم وصل إلى مكة سنة ١٨٥٧ ووقف هناك على ينبوع الجامعة الإسلامية . فأنشأ بها جمعية أم القرى . ولما بلغ السابعة والعشرين اختاره أعظم خان ليكون رئيس وزرائه لسعة أفقه ، وإدراكه لعظائم الأمور .

ومن الطبيعى أن تعمل له دول الاستعمار ألف حساب ، وأن تحاربه بكافة الطرق المباشرة وغير المباشرة . وحشدت فى وجهه الفلول الجامدة ، كلما قصد بلداً إسلامياً ، وكثيراً ما كان يتهافت عليه الناس تهافت الفراش على النار .

وفى الحق أن جمال الدين كان كذلك ، فلم ينزل ببلد إلا أرث فيه الجذوة الكامنة ، وجلا جوهره النفيس الذى ينطوى عليه كل مؤمن بدينه ، وحذر من تألب المستعمرين على الشرق ، وانقضاضهم على الإسلام بحرب صليبية جديدة .

وتتلمذ عليه فى مصر رواد الحركة الإصلاحية والجهادية من أمثال محمـد عبده وأحمد عرابى وسعد زغلول ومصطفى كامل وعبد الله النديم ، الذين يرجع إليهم الفضل فى القضاء على الجمود الفكرى ، ونبـــذ الخرافات ، واجتمعت أهدافهم على توجيه الأمة إلى التطلع بعين البصيرة ، وقلب الحمية ، إلى عالم النور والحرية ، كما نشطت الصحافة حتى كانت لمراجل الثورة وقوداً غـــير منقطع ، وتبودلت الصحف الإسلامية فى شتى الأقطار لتوقوف على أحدث الخطوات ، واعتلى دعاة الحرية منابر الثورة، لتحريك النفوس الهامـدة ، وتأجيج النار الخامدة تحت رماد الخطوب .

وما وافت سنة ١٩١١ حتى صدقت الحوادث نبوءات السيد جمال الدين ، وكان كالذى أمر قومه بأمره وتحذيره ، حتى استبانوا الرشد فى ضحوة الصباح ، فقد انتهكت إيطاليا حرمة طرابلس ، وشقت الدول النصرانية البلقانية عصا الطاعة على تركيا بتحريض من دول الاستعمار على دول الخلافة ، أملا فى خضد شوكتها ، وتوهين نفوذها فى سائر البلاد الإسلامية ، فلم تلبث هذه البلاد أن استنفرت آسادها فى سبيل الله والوطن ، فكان ما لم يكن له حساب عند الأوربيين الذين استيقظوا من سباتهم على القوة الإسلامية الكامنة مما جعل (السير موريسون) يقول « لا مراء فى أن الإسلام أكثر من عقيدة دينية بل هو نظام اجتماعى تام الجهاز : هو حضارة اكتمل نسيجها ، حضارة لهـا فلسفتها وتهذيبها وفنونها » ثم أخذ يستعرض صمود هذا الدين المتين فى مواجهة الأحداث « حتى صار وحدة جامعة نامية نمو الجسم الطبيعى سائراً سيره بفعل نظامه الذاتى الكامن فيه » .

محمد محمود زيتونه

من الأدب الفرنسى

للأستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعه من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة عن نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

الثمن ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

تحقيقات جول

صدر وسدر على الطريق المهجور بين مصر والشام

للاستاذ أحمد بك رمزى

«لقد أنهت مصر الحروب الصليبية وكان من الخطأ ترك الاتصال قائما بينها وسائر بلاد الاسلام»

مؤرخ أوروبى

«أن اسرائيل سيقدر لها أن تعيش وتنمو وتغير التاريخ وحوادث الزمن، حينما تعزل مصر عن بقية الأمم العربية: أى إذا عزلت القاهرة عن دمشق وبغداد، ولو بمر لا يزيد عرضه على كيلو مترين»

أحمد رمزى

١ — وردت عين سدر ووادى سدر sudr فى خرائط مصلحة المساحة فى الطبعة الأولى والثانية، كما وردت بالاتفاقات التى عقدتها الحكومة المصرية مع شركات البترول وفى القوانين التى عرضت على البرلمان لإقرارها بواسطة الحكومة المصرية فلم ينتبه أحد من رجال مصلحة المساحة ولا رجال القانون إلى تحقيق هذا الإسم وضبطه ضبطاً علمياً يتفق مع مكانة مصر وأثرها فى العالم العربى إلى أن صحح فى الخريطة ١/٢٠٠٠٠٠ مصر الصادرة باللغة العربية فنحمد لمصلحة المساحة هذا الاهتمام.

٢ — ويظهر أن بعض الأسماء العربية الواردة بخرائط مصلحة المساحة كانت مترجمة ترجمة حرفية من اللغة الانجليزية التى وضعت من الأصل هذه الخرائط فيها، فجاء الناقلون إلى العربية — وهم ليسوا أهل اختصاص فوضعوها بأخطائها دون عودة إلى المراجع العربية ودون ضبط للأعلام والأسماء.

٣ — والذى أعتقده هو أن صحة الاسم «صدر» لا «سدر» وجاء ذكر صدر فى معجم البلدان لياقوت جزء ٣ صفحة ٣٧٥: «قلعة حراب بين القاهرة وأيلة» أى العقبة ويظهر من كتب القدماء توالى استعمال «عين صدر» و «وادى صدر» وهى واقعة على طريق يبدأ من عيون موسى إلى عين الرويت أو «الريثة» ثم ينتهى الطريق إلى منبع وادى صدر وهو الذى كان على مرتفعه الحصن الذى أشار إليه ياقوت فى معجمه وهو حصن قديم ولا تزال بقاياه مرسومة على الخرائط تحت إسم Old Tort ثم يسير الطريق منه إلى نخل.

٤ — ويظهر أن هذا الطريق — وهو يقع جنوبى طريق الحاج العام والمعروف على الخرائط — هو الذى يمر بوادى صدر وكان يستعمل للذهاب إلى العقبة علاوة على الطريق المطروق المعروف، فقد جاء فى السلوك صفحة ٥٨ سنة ٥٧٠ هجرية أن صلاح الدين أقام ببركة الجب وهى معروفة فى شمال القاهرة ثم سار منها على صدر التى أشرنا إليها متجهاً إلى أيلة فى سيمائة فارس — وكان يقصد اخفاء حركاته فقد جاء فى كتاب الروضتين نقلا عن العماد «أن صلاح الدين زحف من البركة ورحل إلى بلبيس ونزل منها جنوباً إلى صدر ثم إلى أيلة» فلم يسلك طريق الحج المعتاد وإنما سلك هذا الطريق البعيد عن الأنظار والرقباء حتى يطمئن إلى اخفاء حركاته وهو فى طريقه إلى الشام ليقرن حملته بعامل المفاجأة، وفعلا أناخ على بصرى بالشام ثم على مدينة صرخد ثم إلى الكسوة وهى من ضواحى مدينة دمشق اجابة للرغبة التى أبديت له بعد وفاة نور الدين الشهيد رحمه الله.

٥ — وأرجح أن هذا الطريق الذى لم يكن يطرق إلا نادرا هو الذى سلكه أبو الطيب المتنبى فى خروجه هارباً من كافور الاخشيدى ليلة عيد الأضحى سنة ٣٥٠ هجرية. فقد أعد كل ما هو فى حاجة إليه وأخذ يظهر الرغبة فى المقام، وتظاهر لمن حوله من الرقباء أنه سيسلك طريق الشمال بدليل مدحه لعبد العزيز بن يوسف الخزاعى زعيم خزاعة النازلة ببلبيس بقوله:

جزى عربا أمست ببلبيس ربها ... بمسعاتها تقرر بذاك عيونها

فلفت أنظار الرقباء بمديحه هذا إلى طريق بلبيس فأقاموا العيون عليه هناك وكتبوا إلى عمالهم بالحرفين — الشرقى والغربى — والجفار — أى سيناء — وغزة والشام وجميع البوادى حتى يقطعوا طريقه ويقبضوا عليه واتجه هو إلى الطريق البعيد عن الأنظار عيون موسى ووادى عين صدر فوصل إلى نخل، ودليلى على ذلك

ورود موقع الرثمة ضمن المياه التي مر بها أبو الطيب المتنبي قبل وصوله إلى نحل وبذلك نجح في اخفاء طريق هربه فلم يعرف له أثر حتى قال بعض أهل البادية : « هبه سار فكيف بما أثره » وقال بعض المصريين « إنما أقام حتى عمل طريقاً تحت الأرض »

٦ — والرثمة تشبه الرثمة : يقول عنها قاموس الكتاب صفحة ٤٧٥ أنها محطة نزلها بنو إسرائيل وأسمها مأخوذ من الرتم الذي ينبت بالبادية . ونلاحظ أن هناك مكاناً آخر باسم الرثمة في سينا ، غير هذا الموقع ولا أجزم بأن الرثمة والرثمة مكان واحد والمسألة تحتاج إلى تحقيق علمي واسع . ولكني أميل إلى الظن بأن الرثمة التي جاءت في ديوان أبي الطيب المتنبي هي الربيثة التي ذكرها الأدريسي في نزهة المشتاق طيبة ليدن كمحطة في الطريق بين عجرود المعروفة وأيلة — التي هي العقبة — وليس لدينا على الخرائط المتداولة عند وادي صدر سوى عين رويت أو رويث وهي على المنحدر الذي يوصل إلى عين صدر وقد تكون الرثمة هي الربيثة حرفها النساخ وقد تكون الربيثة هي رويث .

فكأن أبا الطيب المتنبي سلك طريقاً كان معروفاً ببعده عن الرقباء . وقد ركب الهجن من الفسطاط وأشاد بمدحها ولهذا يقول:

ضربت بها التيه ضرب القما ر إما لهـــذا وإما لذا

٧ — بين يدي كتاب صحراء سينا الذي وضعه لورانس مع «ليوراند وولي» البريطانيين عن نتيجة أبحاثهما في هذه الصحراء وهو يتضمن معلومات أثرية وتاريخية عن المنطقة الواقعة بعد الحدود المصرية ، لا تقل أهمية عن الكتاب الشائق الذي وضعه الدكتور عباس مصطفى عمار عن أهمية شبه جزيرة سيناء وفي كل منهما دراسة عميقة عن أحوال هذه المناطق ومسالكها وكل منهما يكمل الآخر ، وليس لي ما أزيد على تقديري للكتابين سوى أشادتي بعبقرية رجلين عظيمين الأول: صلاح الدين الأيوبي والثاني: الظاهر بيبرس . فلقد كان لكل منهما الفضل الذي لا ينكر في فهم استراتيجية الحروب الصليبية كما يفهمها رجل عبقري فذ ، ففي كل مرحلة ومفترق طرق أقيمت الحصون والقلاع التي لا تزال بقاياها موجودة وفي كل حلة استعمل أحدهما طريقاً وعبد آخر وأخذ خصمه بالفاجأة والعمل الحاسم.

فهل لنا أن نتساءل اليوم : واللجنة السياسية بجامعة الدول العربية منعقدة : هل نبه أحد من الناس الانظار إلى أن هذا الركن من العالم حيوي لنا وعليه يستند تاريخنا القادم ؟ ... لا أظن

وإنما أعتقد وأجزم بأن رجال الدولة اليهودية كانوا على علم بأهمية الطرق والمسالك وكانوا على حق في اهتمامهم بأراضي النقب وفي وصولهم إلى خليج العقبة وأن الذي وضع خريطة فلسطين سنة ١٩١٧ بشكلها المخروطي أي الذي يبدأ متسعاً في الشمال وينحدر ضيقاً إلى الجنوب حتى البحر الأحمر قد كان يستوحي مملكة أورشليم الصليبيين هزت الكيان العربي والاسلامي والتي لولا أن قدر لنا في التاريخ أمثال صلاح الدين وبيبرس لبقيت في الوجود إلى اليوم .

٨ — أننا لا نطمع في أمثال هذه العبقرية الفذة في التاريخ وإنما نطلب إلى الدول العربية أن تفهم جيداً أن مواجهة الحاضر ومشاكله لا تكفي لايجاد الحلول المطلوبة بل أن أخطر سياسة هي المرتجلة أو المعتمدة على الذكاء الفطري ... الذي يرسم لنا الدبلوماسيه التي ألفناها وهي ذات العبقرية في ترتيب الدسائس بين مصر والدول العربية والاستفادة من الأهواء والغرائز) ونقول أن حل المشاكل الكبرى يتطلب قبل كل شيء دراسة علمية وتوجيهاً معتمداً على الحقائق التاريخية والجغرافية والتاريخ الحربي لمصر وللعالم العربي . فاذا كانت السياسة والاقتصاد « صنوان » لا يفترقان ، فان استخلاص الحقائق الكبرى من دروس الماضي هو الذي يضع الزعماء والقادة في الصف الأول بين زعماء العالم وتنير لهم السبيل لحل المشاكل الكبرى . اننا نأسف أن نلفت النظار إلى هذه الحقائق ، المرة بعد المرة فتذهب صيحتنا هباء ورحم الله أبا الطيب المتنبي الذي علمنا الطرق وجغرافية مسالك الجزيرة فقد بح صوته أيضاً حتى قال :

وما ذكرت قبلك في محال ولا جربت سيفي في هباء

أحمد رمزي
المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولي

التشبيه في القرآن

للاستاذ أحمد أحمد بدوي

— ٥ —

ويهدف التشبيه في القرآن إلى ما يهدف إليه كل فن بلاغي فيه ، من التأثير في العاطفة ، فترغب أو ترهب ، ومن أجل هذا كان للمنافقين والكافرين والمشركين نصيب وافر من التشبيه الذي يزيد نفسيتهم وضوحاً ، ويصور وقع الدعوة على قلوبهم ، وما كانوا يقابلون به تلك الدعوة من النفور والإعراض .

يصور لنا حالهم وقد استمعوا إلى دعوة الداعي ، فلم تثر فيهم تلك الدعوة رغبة في التفكير فيها لمعرفة ما قد تنطوي عليه من صدق ، وما قد يكون فيها من صواب ، بل يحول بينهم وبين ذلك الكبر والأنفة ، وما أشبههم حينئذ بالرجل لم يسمع عن الدعوة شيئا ، ولم يطرق أذنه عنها نبأ ، بل ما أشبههم بمن في أذنه صمم ، فهو لا يسمع شيئاً مما يدور حوله ، وبمن أصيب بالبكم ، فهو لا ينطق بصواب اهتدى إليه ، وبمن أصيب بالعمى فهو لا يرى الحق الواضح ، وبذلك شبههم القرآن ، فقال : « ويل لكل أفاك أثيم ، يسمع آيات الله تتلى عليه ، ثم يصر مستكبراً ، كأن لم يسمعها ، كأن في أذنيه وقراً ، فبشره بعذاب أليم » وقال : « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمي ، فهم لا يعقلون » .

أما ما يشعرون به عند ما يسمعون دعوة الحق فضيق يملأ صدورهم ، ويثودهم حوله ، كهذا الضيق الذي يشعر به الصاعد في جبل ، فهو يجر نفسه ويلهث من التعب والعناء ، وهكذا صور الله ضيق صدورهم بقوله : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ، كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون »

وما دام هؤلاء القوم لا يستخدمون عقولهم فيما خلقت له ، ولم تصغ آذانهم إصغاء من يسمع ليتدبر ، فقد وجد القرآن في الأنعام شبيها لهم يقرنهم بها ، ويعقد بينهم وبينها وثيق الصلات ، فقال : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » ، وأنت ترى في هذا التشبيه كيف مهد له التمهيد الصالح ، فجعل لهم قلوبا لا يفقهون بها ، وأعينا لا يبصرون بها ، وآذانا لا يسمعون بها . ألا ترى نفسك بعدئذ مسوقا إلى إنزالهم منزلة البهائم ، فإذا ورد هذا التشبيه عليك ، وجد في قلبك مكانا ولم تجد فيه بعدا ولا غرابة ، بل ينزل بهم حينا عن درجة الأنعام فيراهم خشباً مسندة .

وحيناً يريد أن يصورهم ، وقد جدوا في الهرب والنفرة من تلك الدعوة الجديدة فيقول : « فما لهم عن التذكرة معرضين ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة » ، وقد تحدثنا عن هذا التشبيه فيما مضى .

أما هذا الذي آمن ثم كفر وانسلخ عن الإيمان واتبع هواه فقد عاش مثال الذلة والهوان ، وقد وجد القرآن في الكلب شبهاً يبين عن خسته وحقارته ، ومما يزيد في الصلة بين الاثنين ان هذا المنسلخ يظل غير مطمئن القلب ، مزعزع العقيدة مضطرب الفؤاد ، سواء أدعوته إلى الإيمان ، أم أهملت أمره ، كالكلب يظل لاهثاً ، طردته وزجرته ، أم تركته وأهملته ، قال : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » .

ولم ينس القرآن تصوير حيويتهم ، واضطراب نفسيتهم ولمح في اضطرابهم صلة بينهم وبين من استوقد نارا ثم ذهب الله بنوره ، وبين السائر تحت صيب منهمر فيه ظلمات ورعد وبرق .

وصور وهن ما يعتمد عليه من يتخذ من دون الله أولياء بوهن بيت العنكبوت ، وحين أراد أن يتحدث عن أن هؤلاء الأولياء لن يستفيد منهم عابد وهم بشيء ، رأى في هذا الذي يبسط كفه إلى الماء ، يريد وهو على تلك الحال أن ينقل الماء إلى فيه ، وما هو ببالغه شبيها لهم فقال : « له دعوة الحق »

والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » .

وتعرض لأعمال الكفرة كما سبق ان ذكرنا ولصدقاتهم التي كان جديراً بها أن تثمر وتزهر، ويفيدوا منها لولا أن هبت عليهم ريح الشرك فأبادتها ، كما تهب الريح الشديدة البرد بزرع كان ينتظر إثماره فأهلكته : « مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح ، فيها صر، أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته، وما ظلمهم الله ، ولكن أنفسهم يظلمون » .

وهناك طائفة من التشبيهات ترتبط بيوم القيامة لجأ إليها القرآن للتصوير والتأثير معاً ، فإذا أراد القرآن أن يبين قدرة الله على أن يأتي بذلك اليوم ، بأسرع مما يتصور المتصورون لجأ إلى أسرع مما يراه الرائي ، فاتخذه مثلا يؤدي إلى الهدف المراد ، فيقول : « ولله غيب السموات والأرض ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، إن الله على كل شيء قدير »

ويقرب أمر البعث إلى الأذهان بتوجيه النظر إلى بدء خلق الانسان ، وأن هذا البعث صورة من هذا البدء فيقول : « كما بدأكم تعودون » وبتوجيه النظر إلى هذا السحاب الثقال يسوقه الله لبلد ميت ، حتى إذا نزل ماؤه دبت الحياة في أوصال الأرض خرج الثمر منها يانعا ، وهكذا يخلق الله الحياة في الموتى ، قال سبحانه : وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ، حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت ، فأنزلنا به الماء ، فأخرجنا به من كل الثمرات، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون»

وإذا جاء يوم القيامة استيقظ الناس لا يشعرون بأنه قد مضى عليهم حين من الدهر طويل منذ فارقوا حياتهم ، ويورد القرآن من التشبيه ما يصور هذه الحالة النفسية العجيبة ، فيقول « ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم ، قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ، وما كانوا مهتدين » ، وإذا نظرت إلى قوة التشبيه مقترنة بقوله : يتعارفون بينهم ، أدركت مدى ما يستطيع أن يحدثه في النفس من أثر . وقد كرر هذا المعنى في موضع آخر يريد أن يثبته في النفس ويؤكده فقال : « يسألونك عن الساعة إيان مرساها ، فيم أنت من ذكراها ، إلى ربك منتهاها ، إنما أنت منذر من يخشاها ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » .

ها هم أولاء قد بعثوا خارجين من أجداثهم في كثرة لا تدرك العين مداها ، وماذا يستطيع أن يرسم لك تلك الصورة ، تدل على الغزارة والحركة والانبعاث ، أفضل من هذا التشبيه الذي أورده القرآن حين قال: «خشعا أبصارهم، يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ، مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر » . وحينا يصورهم ضعافا يتهافتون مسرعين إلى الداعي كي يحاسبهم فيجد في الفراش صوتهم ، فيقول : « القارعة ما القارعة ، وما أدراك ما القارعة ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث » . ولا إخال أحدا لم ير الفراش يسرع إلى الضوء ، ويتهافت عليه في ضعف وإلحاف معا ، ولقد تناول القرآن إسراعهم مرة أخرى ، فشبههم بهؤلاء الذين كانوا يسرعون في خطوهم ، ليعبدوا أنصابا مقامة ، وتماثيل منحوتة ، كانوا متحمسين في عبادتها ، يقبلون عليها في رغبة واشتياق فيقول « يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون » .

ويتناول المجرمين ، فيصور ما سوف يجدونه يومئذ من ذلة وخزي ، ويرسم وجوههم وقد علتها الكآبة : « كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلما ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » . أما طعامهم فمن شجرة الزقوم يتناولونها فيحسون بنيران تحرق أمعاءهم فكأنما طعموا نحاسا ذائبا أو زيتا ملتهبا ، وإذا ما اشتد بهم الظمأ واستغاثوا قدمت إليهم مياه كهذا النحاس والزيت تشوي وجوههم. قال تعالى : « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم » وقال سبحانه : « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه » ألا ترى التشبيه يثير في النفس خوفا وانزعاجا ؟

ويصور آكل الربا يوم القيامة صورة منفرة منه ، مزرية به ، فهل رأيت ذلك الذي أصابه مس من الشيطان فهو لا ينهض واقفا حتى يسقط ، ولا يقوم إلا ليقع ، ذلك مثل آكل الربا « الذين يأكلون الربا ، لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس» ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا »

٢٢ . ٣٥

ولعب التشبيه دوراً فى تصوير يوم القيامة ، وما فيه من الجنة والنار ، ففى ذلك الحين ، تفقد الجبال تماسكها ، وتكون « كالعهن المنفوش» وتفقد السماء نظام جاذبيتها، فتنشق ، ويصبح الجو ذا لون أحمر كالورد : « فإذا انشقت السماء ، فكانت وردة كالدهان » ، وأما جهنم فضخامتها وقوة لهبها مما لا يستطيع العقل تصوره ، ومما لا يمكن أن تقاس إليها تلك النيران التى نشاهدها فى حياتنا ، وحسبك أن تعلم أن شررها ليس كهذا الشرر الذى يشبه الحباءة اليسيرة ، وإنما هو شرر ضخم ضخامة غير معهودة ، وهنا يسعف التشبيه ، فيمد الخيال بالصورة ، حين يجعل لك هذا الشرر كأنه أشجار ضخمة تتهاوى ، أو جمال صفر تقـــاقط ، « إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر » وأما الجنة فى سمة لا يدرك العقل مداها ، ولا يستطيع التعبير أن يحدها ، أو يعرف منتهاها ، ويأتى التشبيه ممداً فى الخيال ، كى يسبح ما يشاء أن يسبح فيقول : « وجنة عرضها كعرض السماء والأرض » .

وهكذا ترى التشبيه يعمل على تمثيل الغائب حتى يصبح حاضرا ، وتقريب البعيد النائى حتى يصبح قريبا دانيا .

ولجأ القرآن إلى التشبيه يصور به فناء هـذا العالم الذى تراه مزدهراً أمامنا عامراً بألوان الجمال، فيخيل إلينا استمراره وخلوده فيجـد القرآن فى الزرع يرتوى من الماء فيصبح بهيجاً نضراً ، يعجب رائيه ، ولـكنه لا يلبث أن يذبل ويصفر ويصبح هشيما تذروه الرياح ، يجد القرآن فى ذلك شبها لهذه الحياة الدنيا ، ولقـد أوجز القرآن مرة فى هذا التشبيه وأطنب، ليستقر معناه فى النفوس ويحدث أثره فى القلب ، فقال مرة : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شىء مقتـدرا » . وقال مرة أخرى : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ، وتفاخر بينـكم وتـكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الـكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما » . وقال مرة ثالثة « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهارا فجعلنا حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » .

ولما كان للمال أثره فى الحياة الاجتماعية لعب التشبيه دوره فى التأثير فى النفس كى تسمح ببذله فى سبيل تخفيف أعباء المجتمع ، فقرر مضاعفة الثواب على مايبذل فى هذه الناحية فقال فى موضع « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير » . فلهذا التشبيه أثره فى دفع النفس إلى بذل المـال راضية مغتبطة ، كما يغتبط من له جنة قد استقرت على مرتفع من الأرض ترتوى بما هى فى حاجة إليه من ماء المطر وتترك ما زاد عن حاجتها، فلا يظل بها المـاء حتى يتلفها كما يستقر فى المنخفضات ، فجاءت الجنة بثمرها مضاعفا . وفى مرة أخرى رأى مضاعفة جزاء الحسنة كمضاعفة الثمرة لهذا الذى يبذر حبة قمح فتخرج عودا يحمل سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن نشاء، والله واسع عليم » . وحاط القرآن هذه المضاعفة بشرط ألا يكون الإنفاق عن رياء . وهنا نقف أمام هذا التشبيه القرآنى الذى سيق تصويرا لمن يتصـدق لا عن باعث نفسى ، تتبين إيحاءاته ، وتتلمس وجه اختياره ، إذ يقول سبحانه : « يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتـكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب ، فأصابه وابل ، فتركه صلدا ، لا يقدرون على شىء مما كسبوا ، والله لا يهدى القوم الـكافرين »، أرأيت هذا الحجر الصلد قد غطته قشرة رقيقة من التراب فخاله الرائى صالحا للزرع والإنبات، ولـكن وابل المطر لم يلبث أن أزال هذه القشرة فبدا الحجر على حقيقته صلدا لا يستطيع أحد أن يجد فيه موضع خصب ولا تربة صالحة للزراعة ؟ ألا ترى فى اختيار كلمة الصفوان هنا ما

يمثل لك هذا القلب الخالي من الشعور الإنساني النبيل، والعطف على أبناء جنسه عطفا ينبع من شعور حي صادق، ولكن الصدقة تغطيه بثوب رقيق حتى يخاله الرائي، قلبا ينبض بحب الإنسانية ويبنى عليه كبار الآمال فيما سوف يقدمه المجتمع من خير، ولكن الرياء والمن والأذى لا تلبث أن تزيلا هذا الغشاء الرقيق، فيظهر القلب على حقيقته قاسيا صلبا لا يلين.

— ٦ —

وتأتي الكاف في القرآن أحيانا لا لهذا التشبيه الفني الخالص، بل لإيقاع التساوي بين أمرين، ومن أمثلة هذا الباب قوله تعالى « وعد الله المنافقين والكفار نار جهنم خالدين فيها، هي حسبهم ولعنهم الله، ولهم عذاب مقيم، كالذين من قبلكم، كانوا أشد منكم قوة، وأكثر أموالا وأولادا، فاستمتعوا بخلاقهم كما استمتع بخلاقكم. كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم، وخضتم كالذي خاضوا، أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون » وقوله تعالى: « إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم، كما أرسلنا إلى فرعون رسولا، فعصى فرعون الرسول، فأخذناه أخذا وبيلاً »؛ فهو يعقد موازنة بينهم وبين من سبقهم، ويبين لهم الوجوه التي يتفقون فيها معهم، ولا ينسى أن يذكر ما أصاب سابقيهم. وإلى هنا يقف تاركا لهم أن يصلوا بأنفسهم إلى ما ينتظرهم من العواقب، وإنها لطريقة مؤثرة في النفس حقا أن تضع لها شبيها، وتترك لها تصل بنفسها إلى النتيجة في سكينة وهدوء، لا أن تقذف بها في وجهها، فربما تتمرد وتثور.

ومن كاف التساوي أيضا قوله تعالى « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده »، وقد يلمح في ذلك الرغبة في إزالة الغرابة عن نفوس السامعين، واستبعادهم نزول الوحي على الرسول، فالقرآن يقرنه بمن لا يشكون في رسالته، ليأنسوا بدعوة النبي؛ وقد يكون في هذا التساوي مثار للتهكم، كما في قوله تعالى « ولقد جئتمونا فرادى، كما خلقناكم أول مرة، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم »؛ أو مثار للاستنكار، كما في قوله « ومن الناس من يقول آمنا بالله، فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله » فسر الاستنكار كما ترى هو تسوية عذاب الناس بعذاب الله.

وقد تأتي الكاف وسيلة للإيضاح، وتقوم هي وما بعدها مقام المثال للقاعدة، ولغير خاف ما للمثل بضرب من التأثير والإقناع؛ ومن ذلك قوله تعالى: « إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، وأولئك هم وقود النار، كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا، فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب »، فجاء بآل فرعون مثالا لأولئك الذين لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً. ومن كاف الإيضاح قوله سبحانه: « خلق الإنسان من صلصال كالفخار » وقوله: « وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني، فتنفخ فيه، فتكون طيرا بإذني »

أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم

تاريخ الأدب العربي

للاستاذ أحمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

طبع اثني عشرة مرة في ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد

الغزالى وعلم النفس

للاستاذ حمدى الحسينى

— ٥ —

النزوع

النزوع أو الإرادة أو العمل ، هو المظهر الثالث للشعور الانسانى ، وما دمنا قد تحدثنا فى المقالين السابقين من هذه السلسلة عن المظهرين الأولين للشعور عند الغزالى وهما المعرفة والوجدان ، أو على حد تعبير الغزالى العلم والحال ، نرى من الحق أن نتحدث هذه المرة عن المظهر الثالث للشعور وهو النزوع أو العمل . وبهذا نكون قد تحدثنا عن أجزاء العملية العقلية عند الغزالى تامة ، وصورنا مظاهر الشعور الثلاثة فى نظر هذا العبقرى كاملة .

وها نحن أولاء الآن نورد وصف النزوع فى علم النفس الحديث فنقابله بما سنورده من وصف لهذا النزوع عند الغزالى . يقول النفسيون [١] : النزوع هو الوجه الثالث لأية عملية عقلية ، وهو محاولة « أو جهد » يبذله الانسان ليستديم الارتياح الذى وجده ، أو يبتعد عما شعر به من الألم والضيق . فهو ما يشعر به الانسان عندما يكون هو الفعال نفسياً ، فيؤثر فى ما يجرى فى نفسه من الخواطر منتقلا من اللحظة التى هو فيها ، نازعاً نحو أخرى آتية أو مبتعداً عنها فى حين أنه فى الوجدان يكون هو المتأثر المنفعل .

وليس الإدراك والوجدان والنزوع أجزاء منفصلة يتكون من مجموعها الشعور ، إنما هى اوجه « ومظاهر لشىء » واحد يمكن تميزها بعضها عن بعض بالفكر ليس الا . وهى متصلة بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً ، وتوجد فى كل عملية عقلية ، وتحدث كلها فى آن واحد . فالإدراك لا يوجد من غير أن يصحبه وجدان ، ولا يوجد وجدان بغير نزوع أو ادراك ، والنزوع لا يوجد بدون اخويه الآخرين .

فالشعور وحدة متصل بعضها ببعض . والإدراك والوجدان والنزوع مظاهر ثلاثة لتلك الوحدة » .

ولنر الآن ما كتبه العبقرى العظيم أبو حامد الغزالى فى هذا الموضوع « أعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد ، وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران ، علم وعمل . والعلم يقدم لأنه أصله وشرطه ؛ والعمل يتبعه لأنه ثمرته وفرعه ، وذلك لأن كل عمل ، أعنى كل حركة وسكون اختيارى فإنه لا يتم إلا بثلاثة أمور : علم واردة وقدرة ، لأنه لا يريد الإنسان مالا يعلمه ، فلا بد وأن يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من الارادة. ومعنى الارادة انبعاث القلب إلى ما يراه موافقاً للغرض ، إما فى الحال أو المآل . فقد خلق الله الانسان بحيث يوافقه بعض الأمور ويلائم غرضه ، ويخالفه بعض الأمور ، فيحتاج إلى جلب الملائم الموافق إلى نفسه ، ودفع الضار المخالف عن نفسه ، فافتقر بالضرورة إلى معرفة وإدراك للشىء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا . فإن من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناوله . ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها؛ فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسباباً وهى الحواس الظاهرة والباطنة .

ثم لو أبصر الانسان الغذاء وعرف أنه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه . إذ المريض يرى الغذاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ، فخلق الله له الرغبة والميل والإرادة ، وأعنى به نزوعاً من نفسه إليه وتوجيهاً فى قلبه نحوه . ثم ذلك لا يكفيه ، فكم من شاهد طعاماً راغب فيه يريد تناوله عاجز عنه لكونه زمناً ، فخلقت له القدرة والأعضاء المتحركة حتى يتم التناول . والعضو لا يتحرك إلا بالقدرة . والقدرة تنتظر الداعية الباعثة ، والداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن أو الاعتقاد وهو أن يقوى فى نفسه كون الشىء موافقاً له ، فإذا جزمت المعرفة بأن الشىء موافق ولا بد وأن يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الإرادة وتحقق الميل . فإذا انبعثت الإرادة انتهضت القدرة لتحريك الأعضاء . فالقدرة خادمة للارادة ، والارادة تابعة لحكم الاعتقاد

---

[١] اصول علم النفس للاستاذ أمين مرسى قنديل

والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الإرادة . وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض إما في الحال وأما في المآل فالمحرك الأول هو الغرض المطلوب وهو الباعث ، والغرض الباعث هو القصد المنوى والانبعاث هو القصد والنية . وانهاض القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل ، إلا أن انهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد . وإذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليئاً بانهاض القدرة ، وقد يكون كل واحد قاصراً عنه إلا بالاجتماع . وقد يكون أحدهما كافياً لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضداً له ومعاوناً »

حقاً أن الإمام الغزالي رحمه الله قد ظهر في هذه القطعة النفسية الجليلة الخالدة التي انتزعناها من كتابه احياء علوم الدين عالماً نفسياً كبيراً وعبقرياً في فهم الطبائع البشرية وأسرار النفس الإنسانية خطيراً . قد ظهر الغزالي في هذه القطعة فاهماً للشعور الإنساني كل الفهم ، مدركاً للعملية العقلية كل الإدراك ، فهو لم يعالج في هذه القطعة موضوع (العمل) فحسب بل عالج جملة الشعور وكلية العملية العقلية . عالجها هذه المعالجة الدقيقة المتقنة السهلة الواضحة المبسطة التي تدل دلالة تامة على أن الرجل قد أوصله تأمله في نفسه وملاحظته لغيره إلى أعمق اغوار النفس البشرية فتغلغل في تلك الاغوار البعيدة تغلغل القوى القادر وعاد يحمل إلى العقل البشري هذه الأسرار العظيمة عن النفس البشرية والطبائع الإنسانية فينتفع بها الناس كافة . ونحن لا نحب أن نترك هذه القطعة النفسية العظيمة الفائدة دون أن نشير إلى التشابه بين ما جاء فيها وما جاء على قلم العالم الاجتماعي الكبير غوستاف لوبون في كتابه الآراء والمعتقدات عن اللذة والألم كعاملين للحركة وباعثين للرغبة . يقول الدكتور لوبون :

« اللذة والألم يورثان الرغبة ، أي الرغبة في بلوغ اللذة واجتناب الألم . فالرغبة هي المحرك الأساسي للارادة والباعث على العمل ، والرغبة هي التي توحي إلى الإرادة التي تكون بدونها معدومة . وعلى نسبة الرغبة تكون الإرادة قوية أو ضعيفة . ومع ذلك لا يجوز خلط الإرادة بالرغبة كما فعل كثير من الفلاسفة كشوبنهور وكوندياك . فإذا كانت الرغبة مصدر كل ما يراد فإنه يرغب في أمور كثيرة لا تراد . فالارادة تتضمن التأمل والقصد والتنفيذ . إلى أن يقول :

والأمل ان الرغبة لا الرغبة نفسها . إذ هو عبارة عن استعداد نفسي يجعل الإنسان يعتقد إمكان تحقيق ما فيه من رغبة . فقد يرغب المرء في شيء دون أن يأمله ، فعلى قلة من يأملون الثروة نرى جميع الناس يرغبون فيها ، وكذلك العلماء فانهم يرغبون في اكتشاف علة العلل مع أنهم لا يأملون أن يصلوا إليه . وقد تقرب الرغبة من الأمل في بعض الأحيان فتختلط به . فالإنسان في لعبة الدولاب يرغب في الربح ويأمله . ويمكننا أن نعرف الأمل باللذة المرجوة . وفي الغالب يكون الأمل في دور الرجاء أشعث للعلة منه في إيجازه ، وسبب ذلك واضح ، فاللذة المنجزة تكون محدودة مقداراً وزماناً مع أنه لاحد لما يوجه الأمل من أحلام ولم يوجد سلطان الأمل وفتنته إلا لاشتماله على ما في اللذة من ممكنات . فهو عصا سحر قادرة على تحويل كل شيء . وهذا هو سر كون دعاة التجدد لم يفعلوا سوى إقامة أمل مكان آخر » .

ولا يفوتنا بعد كل ما تقدم عن النزوع أن نتحدث قليلا عن سلوك الغزالي بالنسبة إلى أهدافه ، يقول الغزالي :

(قد خلق الإنسان بحيث يوافقه بعض الأمور ويخالفه بعضها ، فيحتاج إلى جلب الملائم الموافق ودفع الضار المنافي) وهو بهذا قد وضع قاعدة جلب اللذة ودفع الألم . وقال في موضع آخر :

(المحرك الأول هو الغرض المطلوب وهو الباعث . والغرض الباعث هو القصد المنوى ، وهو بهذا قد وضع قاعدة الهدف الباعث . ولننظر الآن لنعرف ما هو الهدف الباعث للغزالي في حياته . وأين اللذة المجلوبة في هذا الهدف وأين الألم المدفوع . نريد أن نعرف هذا لنستطيع أن نعلل سلوك هذا الرجل على ضوء علم النفس الذي يشرف علينا من هذه السطور التي سطرها قلمه مغموساً بمصاوة نفسه وخلاصة حياته .

قد وضع الغزالي لنفسه هدفاً يجلب بالحصول عليه اللذة وهو الجنة ، فالجنة هدف الغزالي الباعث له على ذلك السلوك الذي سلكه في حياته ؛ وقد كانت العبادة هي الطريق — أو الوسيلة — الموصلة

إلى الهدف . وقد تركزت فى هدف الغزالى كل رغباته ، فكان منساقاً إلى الهدف بكل ما فى رغباته من قوة وعنف . وقد وضع الغزالى لنفسه باعثاً آخر ولكنه باعث مكروه لأنه مصدر ألم وهو نار جهنم والعياذ بالله . فقد حرك هذا الألم فى نفس الغزالى الرغبة فى الهروب ابتغاء النجاة والطمأنينة ، الهروب من الدنيا إلى الآخرة ، من نار جهنم إلى جنات النعيم ونحن إذا فهمنا هذا جيداً استطعنا أن نفهم الدلة فى سلبية الغزالى وانطوائه على نفسه وعده رغبات الحياة الإيجابية مهلكة تجب النجاة منها ، ورغبات الحياة السلبية منجية يجب الاعتصام بها . إذا فهمنا هذا جيداً استطعنا أن نفهم السبب فى اعتباد الغزالى غرائز الغضب والتغلب والسيطرة والمنافسة وحب المدح والجاه والثراء وما إليها يجب الابتعاد عنها والتخلص منها بالخوف والخضوع والانقياد والزهد والفقر وما إليها من الغرائز والرغبات السلبية .

محمد العشماوى

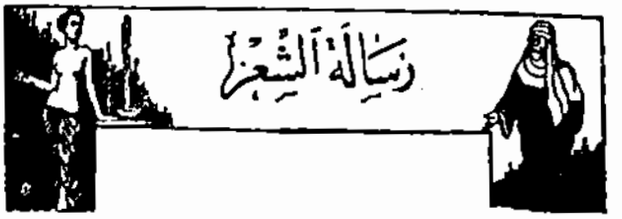

كيف أدعوك

لصاحب السعادة عزيز أباظة باشا

مهداة الى الآنسة أم كلثوم

«اعتدت أن أهدى اليك شيئا من الشعر وأنا غريب الدار . تقولين إنى أفعل ذلك توفيرا للهدية ! وأقول انى أفعله توفيرا للمهدى لها : فهل تضنين فيه لحنا ! لقد خلدت الخالدين ، فتنزلى إلى المغمورين »

مونت كاتينى عزيز أباظة

كيف أدعوكِ ! لا أقولُ منى النفس ونعماها ، فانك نفسي وأنا أنتِ إنَّ روحىَ فى روحِك تَفْنىَ ، وإنَّ حسَّكِ حسى ما خلونا إلاَّ تساءلتُ هل همسُك هـذا القدسىُّ أم هو همسي افَّ أعراقَنا الهوَى وطوانا فأمنَّا سُعارَ جنسٍ لجنسِ حسبىَ النظرةُ الشهيةُ تلقى لُمَعَ النورِ في غياهبِ يأسى وحديثٌ كأنَّه من صلاةِ اللهِ ذو طابعٍ وعرفٍ وجرس اتراءكِ بينَ أجنحةَ الفجرِ إذا رفرفتْ تَزُفُّ اللَّجينا قُبلاً من مُجاجةِ النورِ تنهلُّ فتشفى جوانحاً قد ظمينا أنتِ إشراقةُ السماء ومجلىَ الله فى خلقهِ كمالاً وزينا أنتِ حسنٌ جم الأفانين ما شعشع لونا إلا ليبدع لونا قلتُ للفجرِ حينَ لُفَّت بهِ الشمس وشفَّت أسداله فانطوينا ايه يافجرُ فى غلائلك البيضِ حبيبى فامضِ الهوينىَ الهوينىَ أتراءكِ والدجى مُسبلُ الستر عَلَى الكونِ مستسرُّ الجفونِ فى زُهَا البدرِ فى حياء الثريَّا . فى صلاة الأطيارِ فوقَ الغصون فى سقيطِ الندَى يَطلُّ بهِ النبتُ فيَروى عن سرِّه المكنونِ نورَ عينى مذ وادَعَ الدمعُ عينى غِبَّ يومِ مردٍ ورزءِ طحون كنتِ بَرداً لقلبىَ المحزونِ ثم شُغلاً لهُ فحبَّ الحنونِ ثم كنتِ الحياةَ حاليةَ الأنواف . ريا الأعطافِ شتَّى الفنونِ قبلتى أنتِ حيثُ أضربُ فى الأرضِ فصوبى أمانتى واذكريني

عزيز أباظة

لن أنســـاك

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

السنا والظل من عي نيك لاحا فى خيالى
فى مساء ساحر الأنـ ـوار ، مسحور الظلال
وأنا وحدى غريب بين يأسى واعتزالى
أشرب الأوهام والأحـ ـلام من كأس الليالى

***

آه من عينيك يا حو راء يا نبع الحنان
كم شربت النور من عي نيك فى ظل التدانى
فانتشت روحى وهامت فوق آفاق الزمان
أين منى الآن هذا السحر ؟ بل أين مكانى

***

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

بين بلزاك ودستويفسكى :

فى مقالكم القيم الذى ظهر فى العدد (٨٨٩) من الرسالة ، تحدثتم عن أثر القصاص الفرنسى بلزاك فى صقل الموهبة القصصية عند الكاتبة الأمريكية مرجريت ميتشل ، وذلك عن طريق القراءة والدراسة والاحتذاء .. ولقد وردت فى ثنايا المقال فقرة من الفقرات قلتم فيها بعد شىء من العرض والتمهيد : « وجاء اليوم الذى كان يحلم به الزوج وتحلم به ، وخرجت إلى حيز الوجود « ذهب مع الريح » .. أول نفحة من نفحات الكاتب الفرنسى العظيم ، أستاذ مرجريت الذى درست فن القصة على يديه ، وأستاذ الأساتذة فى فنه بلا جدال » !

قلتم هذا عن بلزاك ، وهو قول يعبر عن رأيكم فى الكاتب الفرنسى وخلاصته أنه أعظم كتاب القصة بلا استثناء .. فما هو موقفكم من هذا الرأى الآخر الذى طلع به علينا الأستاذ العقاد فى عدد أغسطس من « الهلال » ، حيث قال فى معرض الحديث عن القصاص الروسى دستويفسكى : « ذلك هو دستويفسكى العظيم ، دستويفسكى الخالد ، دستويفسكى الذى لا يعلو على منزلته فى القصة ولن يعلو عليها فيما أظن كاتب من كتابها البرزين » ؟!

ترى هل اطلعتم على هذا المقال الذى كتبه الأستاذ العقاد ؟ وإذا كنتم قد اطلعتم عليه فكيف نوفق نحن القراء بين نظرتين ، تدفع إحداهما ببلزاك إلى مقدمة الصفوف بينما تقصيه الأخرى عن مكانه لتحل محله دستويفسكى ؟ .. نحن فى انتظار رأيكم على صفحات الرسالة .

« دمشق سورية » عمر ناده الطيعى

حقيقة نحب أن يعلمها الأديب السورى الفاضل ويعلمها غيره من القراء ، وهى أن اختلاف الآراء حول قيم العباقرة من أهل الفن أمر لا غرابة فيه .. وكيف لا تختلف الآراء وهناك تلك الحقيقة

نحن كنا فى ظلال الحب ، للحب نغنى
نحن كنا نقطف الأحـ ـلام من روض التمنى
ثم غاب الروض والاحـ ـلام .. لما غبت عنى !
يا حياتى خبرينى أى شىء كان منى ؟

***

كالورود الذابلات هكذا صارت حياتى
هكذا ضيعت عمرى فى الأمانى الضائعات !
لم أزل مذ غبت عنى هائما فى ذكرياتى !
ذاهل الاحساس حتى لم أعد أعرف ذاتى

***

إن دعانى الليل طارت نحوه روحى الحزينة
واستقرت فى يديه وهى حيرى مستكينة
ومضت تشكو إليه وهى بالشكوى ضنينة
غير أن الليل يغرى كل روح بالسكينة

***

لم أعد أخشى من الموـ ـت ، فقد مت مرارا !!

رب يوم كنت أفنى فيه شوقا وانتظارا
شارد الاحساس ، حيـ ران الأمانى ، مستطارا
وتوارى اليوم لم أشـ ـعر به لما توارى

***

كنت أخشى الموت لما كنت أحيا مطمئنا
كان لى فى الحب قلب بهواه يتغنى
ثم صار القلب يبكى حبه مذ غبت عنا
يا حياتى لست أدرى لحياتى أى معنى !

***

أنا لن أنساك مهما طال بالذكرى عذابى
كيف أنسى نور أيامى ، وأحلام شبابى ؟
فارحميني حين أبكى فأنا أبكى لما بى !
واعذريني حين يأتيـ ـك على الهجر عتابى
واذكرينى ، فعسانا نلتقى بعد الغياب

ابراهيم محمد نجا

الأخرى التي تدور حول اختلاف الأذواق ، وتنتهي إلى أن الذوق هو دعامة كل نظرة وسند كل لمحة وأساس كل ميزان ؟ لا عجب إذن من أن ينظر الأستاذ العقاد إلى دستويفسكي نظرتنا إلى بلزاك ، وأن يتنازع القصاصان الخالدان مكان الصدارة في عالم النقد بما خلفاه للانسانية من تراث عظيم !

الأستاذ العقاد معجب كل الاعجاب بدستويفسكي لا يكاد يفضل عليه قصاصاً سواه ، وهو لا يقف وحده في مجال الإعجاب بسيد كتاب القصة الروسية وإنما يقف إلى جانبه الكاتب الفرنسي الكبير أندريه جيد . وكاتب هذه السطور مقدر كل التقدير لبلزاك لا يكاد يعدل به أحداً في مزاياه ، وهو لا ينفرد بهذا التقدير لسيد كتاب القصة الفرنسية وإنما يشاركه فيه الكاتب الروسي العظيم فيدور دستويفسكي .. وإذا شهد دستويفسكي لبلزاك فهي الشهادة التي يعتز بها النقد ويجعلها من مقاييسه في أبرز مكان !!

هذه حقيقة لا يجادل فيها كل مطلع على تاريخ دستويفسكي وكل دارس لحياته الفنية ... لقد قرأ الكاتب الروسي كثيراً من آثار بلزاك قبل أن يتناول قلمه ليخرج للناس أول قصة ، وكان إعجابه به هو إعجاب المعترف بالفضل حين يتمثل في القول المأثور أو الرأي المكتوب .. وأبلغ الدلالة على هذا الإعجاب هو إقباله في مطلع الشباب على إحدى روائع بلزاك يقرؤها في نهم ويدرسها بعناية ، ثم يأخذ في نقلها إلى لغته كنموذج رفيع لأدب القصة ، ونعني بها رواية « أوجيني جرانديه » التي نشر ترجمتها في إحدى الصحف الأدبية الروسية !

حدث هذا على الرغم من تلك العصبية الإقليمية التي اشتهر بها دستويفسكي وروى في سبيلها من مؤرخي الأدب بأقسى النعوت والأوصاف .. كان يفضل الشعب الروسي على غيره من الشعوب: فثقافته في رأيه هي خير الثقافات ؛ وحضارته في نظره هي أرقى الحضارات ، وقس إلى ذلك أغلب آرائه وأحكامه حين تدعو المناسبة إلى وضع الأدباء الروسيين في الميزان ... هومفتون بشعر « هيجو » الفرنسي يردده بينه وبين نفسه وبين الأصدقاء ولكنه ينتصب واقفاً على قدميه ليدافع عن شعر « بوشكين » الروسي كلما هم لسان بالمقارنة بين الشاعرين ، ثم لا يعود إلى مكانه إلا وقد خفض من قدر الأول ورفع من شأن الأخير ! وهكذا كان حاله في كل موقف ينطرق الحديث فيه إلى المفاضلة بين أدباء وطنه وأدباء غيره من الأوطان ، إلا بلزاك .. فقد كان رأيه فيه فوق كل شك وفوق كل اتهام ، حتى لتتوارى العصبية الاقليمية ولا تبقى غير كلمة الحق يجهر بها في إعجاب منقطع النظير . وحسبنا من دستويفسكي تقديراً لبلزاك تلك الحملة التي شنها على الناقد الروسي « بلنسكي » لتفضيله إحدى قصص « تولستوي » على « أوجيني جرانديه !! »

ولقد قلنا ونحن نستعرض جوانب الملكة القاصة عند بلزاك ونشير إلى مزاياه : « لقد كان بلزاك دارس نفسيات من الطراز الأول ، حتى لتستحيل النفس الإنسانية تحت لمسات ريشته إلى غرفة مفتحة النوافذ والأبواب . وكان رآهم شخصيات لا نظير له ، حتى لتطالعك النماذج البشرية في ساحة عرضه الفني كما تطالعك في ساحة العرض الكبرى ونعني بها الحياة ... وكان يسخر الحوادث والشخوص لإبراز فكرته العامة التي ينسج خيوطها العرض والحوار ، فإذا هذه الفكرة منشورة الجناحين على حدود القصة تمتد ظلالها من البداية إلى النهاية ... وكان في التزامه لعنصر الواقعية الفنية مثلاً أعلى للدراقبة الحسية والنفسية ، حين تعملان في خط اتجاه فكري واحد ينتظم كل ماعداه من خطوط » .

ويقول الأستاذ العقاد عن دستويفسكي في مقاله الذي نشر في الهلال : « فالمواقف الغرامية من أهم المشوقات في القصة على العموم ، ولكنك لا ترى رواية لدستويفسكي تحفل فيها الغراميات في المحل الأول ، ولعلها لا ترتقي في معظم رواياته إلى المرتبة الثانية من مراتب العناية ، فهي فضول يأتي في السياق اضطراراً ويوشك أن يسقط من الحساب لولا أن إسقاطه دفعة واحدة مجافاة للواقع في العلاقات بين الناس ... ومن نواحي التشويق التي لا يكترث لها دستويفسكي تضخيم الحوادث والإكثار من المزعجات أو الطوارق التي تهول العدد الأكبر من قراء القصص. فربما دارت القصة كلها على حادثة واحدة من الحوادث

اليومية ، وهي تشتمل على مئات من الصفحات ... وقلما يتحدث هذا الكاتب الموهوب عن « الشخصيات » العظيمة التي تعود الناس أن يستطلعوا أنباءها ولو كانت من توافه الأنباء ، فمعظم شخصياته من صغار القوم الذين يعدون في المجتمعات بالألوف والملايين ، ولكنه يجعلهم على الرغم من ذلك « مهمين » جداً كأنهم ذوو قرابة يشغلون بال القارىء لقرابتهم لا لأنهم ذوو خطر أو لأن حوادثهم ذات بال .

هذه هي النواحي التي لا يكترث لها دستويفسكي في رواياته ، فليس هو كاتب غراميات ولا كاتب جرائم ولا كاتب بطولات ومظاهر تروع الناس بالمناصب والألقاب ... وعلى الرغم من هذا كله يكتب ويشوق ويبلغ الغاية في التشويق والإبداع ، فلولا قدرة خارقة في ذلك القلم لما استطاع أن يرتفع إلى القمة العليا بين كتاب الرواية في جميع العصور ! ماهي هذه القدرة الخارقة ؟ هي القدرة على الغوص في السريرة الإنسانية ، ففي بضع صفحات ينتقل بالقارىء من الشاطىء إلى أعمق الأغوار الإنسانية فإذا هو غارق معه في بحر لجي لا يحفل فيه بالأرض والسماء ، ولا يسأل أهو في ربيع أو شتاء ، أوفي صباح أو مساء ، لأن « معمعان » هذه النفوس التي يغوص فيها يشغله عن الدنيا وما فيها ويبلغ من طغيانه على خيال القارىء أن يتوهم أنه عائش في قلب الرواية ، فهي عنده الدنيا الحقيقية والدنيا التي تحيط بها هي الخيال » !

هذه كلمات تصدق على فن دستويفسكي كل الصدق وتنطبق عليه كل الانطباق ، اللهم إلا في موضع واحد تختلف بشأنه مع الأستاذ العقاد ، وهو قوله بأن دستويفسكي لم يكن كاتب جرائم. الحق أن أحداً من القصاصين لم يتناول الجريمة في قصصه بالتحليل العميق كما تناولها هذا الكاتب الفنان: هناك في روايته « النماذج » عامة ، وفي روايته « الشياطين » خاصة ، وفي روايته « الجريمة والعقاب » على الأخص .. ولقد كان تحليله للجريمة في هذه الروايات الثلاث منصباً على الناحية النفسية والخلقية والاجتماعية !

وكل ما ذكره الأستاذ العقاد بعد ذلك عن قدرة دستويفسكي على الغوص في السريرة الإنسانية كما وهبه كبرى من مواهبه حقيقة ناصعة يندرج تحتها فن الكاتب الفرنسي فيها في هذه الموهبة متساويان. ولكن بلزاك يتفوق على صاحبه حين تجتمع له تلك العناصر المشوقة التي لم يكن دستويفسكي يكترث لها على التحقيق. وتبقى ناحية أخرى في فن الكاتبين من شأنها أن تثير بحثاً منفصلا في أدب القصة ، ومحورها أن دستويفسكي كان أكثر فهما للحياة من بلزاك وأن بلزاك كان أعمق تذوقاً للحياة من دستويفسكي .. وسنتحدث في عدد مقبل من الرسالة عن شتى الفوارق الفنية بين طبيعة « الفهم » وطبيعة « التذوق » تحت هذا العنوان : « القصة بين فهم الحياة وتذوق الحياة » !

حول رأي قريم في أحد الكتاب:

قرأت لكم في تعقيبات العدد (٨٨٩) من الرسالة كلمة تحت عنوان « الانتاج الأدبي بين الأصل والترجمة » تقولون فيها ما نصه : « أما عن وجود التفاوت بين الأصل والترجمة في الروح فهذا أمر لا جدال فيه » .. وتقولون في نهاية الكلمة : « ومهما بلغ المترجم من الأجادة والصدق والأمانة فإن روح النص في غير لغته لا يمكن أن تسمو إلى المستوى الحقيق لهذه الروح في لغتها الأصلية التي يتذوقها المتذوقون » !

قرأت ذلك فقمت مسرعاً يدفعني شعور خفي إلى البحث في أعداد الرسالة السابقة وسرعان ما وجدت ما كنت أبتغيه . ففي العدد (٨١٧) كلمة في تعقيباتكم بعنوان « كاتب لا يعرف قدر نفسه » رددتم بها على الأستاذ سلامة موسى الذي كتب في العدد (١٨٨) من السامرات كلمة جاء فيها : « وقد ترجم من كتب جيته إلى العربية كتابان ، الأول « آلام فرتر » الذي (ألفه) وترجمه الأستاذ أحمد حسن الزيات ، والثاني « فاوست » الذي ترجمه الدكتور محمد عوض محمد ... وكلتا الترجمتين لا تحتفظ بالروح الأصلي لقصتي الشاعر الألماني ، وعلى من يريد الوصول إليه أن يرجع إليهما في الألمانية أو الفرنسية أو الانجليزية » .. وقد هاجمتموه هجوماً عنيفاً مراً ... وكلمتكم الأخيرة تدل المرء على اتفاقكما في الرأي... فهل يا ترى غير الأستاذ الناقد رأيه ؟ .

وإذا كان ، فهل تنظر إنصاف الأستاذ سـلامة من قلم كقلم المداوى ؟ .. الأمل كبير .. وتقبل سلاما من المعجب .

رجاء عبد المؤمن النقاش

« طالب توجيهى »

لو دقق الأديب الفاضل فيما رمينا إليه من معنى فى هاتين الفقرتين اللتين نقلهما من كلمة سابقة ، ولو دقق مرة أخرى فيما رمى إليه الأستاذ سلامة موسى لأدرك أننا غير متفقين معه فى الرأى كما يقول .. فكلمة (ألفه) التى ينسبها سلامة موسى إلى ترجمة الأستاذ الزيات لقصة « ألام فرتر » ، هذه الكلمة ترمي إلى تجريد الترجمة الزيانية من الصدق والأمانة وهما لازمتان من لوازمها الحقيقية ... وكلمته الأخرى التى يقول فيها : « إنها لا تحتفظ بالروح الأصلى لقصة الشاعر الألمانى » ترمى هى أيضاً إلى نفى كل أصالة فنية عن حقيقة تلك الترجمة ، وهى صفة أولى من صفاتها الجوهرية !

هذا السخف الذى لا يستند إلى شرعة واحدة من المدل والإنصاف ، هو الذى دفعنا إلى كتابة تلك الكلمة فى الرد على باطل الأستاذ سلامة موسى فى مجلة المسامرات ... ومع ذلك فان قولنا : « ومهما بلغ المترجم من الإجادة والصدق والأمانة فإن روح النص فى غير لغته لا يمكن أن تسمو إلى المستوى الحقيق لهذه الروح فى لغتها التى يتذوقها المتذوقون » ، هـذا القول لا يؤدى مطلقاً إلى ما يؤدى إليه قول الأستاذ سلامه موسى : « وكلتا الترجمتين لا تحتفظ بالروح الأصلى لقصة الشاعر الألمانى » .. ذلك لأن هـذا التعبير « لا يمكن أن تسمو » معناه فى لغة الألفاظ الدقيقة أن ترجمة المترجم الصادق الأمين وإن احتفظت بروح النص فى غير لغته فهى لا يمكن أن تحتفظ بجوهر تلك الروح فى صورته الكاملة ، ومثله فى ذلك مثل المصور البارع الذى ينقل إليك لوحة « الجيوكندا » لدافنشى .. ليس من شك فى أنه يستطيع أن ينقل إليك اللوحة نقلا أميناً بما تزخر به من الملامح والألوان والظلال ، ولكن الصورة التقليدية لا يمكن أن توحى إلى الشعور المتذوق « بكل » ما فى اللوحة الطبيعية من نبض وحياة ! وإذن فترجمة الزيات العربية تستوى وأى ترجمة أخرى سواء أكانت انجليزية أم فرنسية ، ولا مبرر هناك لأن يصر الأستاذ سلامى موسى على الرجوع إلى هاتين الترجمتين !

هذا هو المعنى الدقيق الذى دارنا حوله وقصدنا إليه ، وهو يفترق كل الافتراق عن المعنى الآخر الذى دار حوله الأستاذ سلامة موسى ، حين خطر له أن يجرد ترجمة الأستاذ الزيات وصاحبه من « كل » احتفاظ بروح النص فى لغته الألمانية !

ترى هل ينتظر الأديب الفاضل بعد هذه الكلمة للأستاذ سلامة موسى شيئاً من الأنصاف ؟ إن رأينا اليوم فى هذا الكاتب هو رأينا بالأمس ، وإنه لرأى قديم دفعتنا المناسبة وحدها إلى إعلانه ، وكم لنا فى بعض الناس من أراء لا ينقصها لتظهر غير عدد من المناسبات !

رجاء إلى القراء :

هناك قراء لا يزالون يبعثون إلينا ببعض الأسئلة التى تتعلق بأمور شخصية ؛ فهذا طالب حصل على التوجيهية يسألنا عن أى الكليات أكثر ضمانا للمستقبل وتوجيها إلى الحياة ، وهذا طالب آخر يسألنا النصح والمشورة ؛ هل يتزوج الآن أم يرجىء هذا الأمر ليتفرغ لدراسته الجامعية ، وهذا طالب ثالث يكتب إلينا راغباً فى « إعطائه » بعض الدروس فى الأدب العربى ، وهذا قارىء رابع أضناه الحب وعذبه الأرق فهو محتاج إلى « فتوى » غرامية تهيىء له أن يظفر بمن يحب ، وهذا قارىء خامس يرغب فى « وساطتنا » لدى وزير المعارف لينقل أحد أقربائه من المدرسين إلى القاهرة لأن الوزير الأديب فى رأيه ان يرد طلباً للكاتب الأديب .. إلى آخر هذه النماذج العجيبة من الرسائل الطريفة !

إن ودنا على هذا النوع من القراء هو أننا نعتذر إليهم من الإجابة على أمثال هذه الأمور ، لأنها تخرج عن دائرة اختصاصنا فى هذا المكان من الرسالة ، وإن رجاءنا إليهم هو أن يقصروا أسئلتهم على الشئون الأدبية والفنية !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

أعمال المؤتمر الثقافي وتوصياته :

أتينا في الأسبوع الماضي على اللجان التي ألفت في المؤتمر الثقافي العربي الثاني ، ونذكر الآن أنه بعد أن فرغت هذه اللجان عرضت تقريراتها على الهيئة العامة للمؤتمر التي عقدت جلستين في اليومين الأخيرين من أيام المؤتمر ، فناقش الأعضاء توصيات اللجان ، وكان الرأي يؤخذ فيها واحدة واحدة ، ووافق المؤتمر عليها مع تعديل بعضها . وقد رأس هاتين الجلستين الأستاذ شفيق غبريال بك نائباً عن معالي الرئيس الدكتور طه حسين بك ؛ وقد جرت المناقشة في نظام تام ، وكان شفيق بك حريصاً على إتاحة الحرية في الإعراب عن الرأي ، كما كان صبوراً واسع الصدر في حزم .

نظر المؤتمر تقرير اللجنة المكلفة بدراسة ما نفذته دول الجامعة العربية من قرارات وتوصيات المؤتمر الثقافي الأول ، فتبين أن مناهج التعليم في أكثر البلدان العربية تسير وفق الكثير من تلك التوصيات ، وأن أكثر هذه البلدان عملا بها هي سوريا ، وأن الحكومتين السعودية واليمنية لم ترسلا تقريريهما بهما في هذا الشأن ، غير أن مندوبيهما أدليا ببيانين شفويين يتضمنان أن قرارات المؤتمر الأول موضع عناية هناك . وقد تقرر تشكيل لجنة للنظر في موضوع الكتاب المدرسي وفي وضع مناهج موحدة في القدر المشترك البين في قرارات المؤتمر الأول ، وتوصية حكومات الدول الأعضاء بضروره تنفيذ ما يوصي به المؤتمر .

ونظر تقرير اللجنة المؤلفة لبحث موضوع تعليم أولاد اللاجئين الفلسطينيين ، فلوحظ أن الجهود التي بذلتها البلاد العربية إلى الآن في هذا الغرض جهود متفرقة ولم تشمل إلا تعليم عشرين في المائة من مجموع من هم في سن التعليم من أبناء اللاجئين ، كما تبين أنه ليس هناك إحصاء دقيق لعددهم وأحوالهم وقد أوصى المؤتمر بعدة توصيات منها تأليف لجنة تتفرع من اللجنة العامة لشؤون فلسطين ، تكون مهمتها التفرغ للنواحي التعليمية من القضية الفلسطينية ، ومنها فتح أبواب المدارس جميعها في البلاد العربية في وجه أبناء اللاجئين وأن يعاملوا كأبناء الدولة نفسها ، وأن تستفيد كل دولة من المعلمين النازحين إليها من فلسطين بضمهم إلى هيئاتها التعليمية الاصلية ومعاملتهم كالمواطنين على أساس المساواة ، وتعديل الأنظمة والقوانين التي تحول دون استخدامهم ، وأن تقوم اللجنة المقترحة بإحصاء دقيق لعدد الأساتذة والطلاب اللاجئين .

ونظر تقرير لجنة الثقافة العربية ، وقد وافق المؤتمر على ما اقترحته اللجنة من تخصيص مؤتمر عربي ثقافي مقبل لدراسة موضوع الثقافة العربية دراسة تحليليه مفصلة ، كما وافق على سائر توصياتها ، وأولها العمل على تحقيق الوحدة اللغوية في المجتمع العربي حتى تكون لغته الفصحى لا لغة التعليم والتأليف فحسب ، وقد جرت مناقشة في هذه النقطة أراد فيها بعضهم أن يعدل صيغتها بحيث تكون : العمل على نشر اللغة الفصيحة في المجتمع العربي ، ولكن الأكثرية أصرت على الصيغة الأصلية ، ومن هذه التوصيات مواصلة العمل على ترقية الثقافة العربية من طريق إحياء تراثها القديم وتأليف لجنة من المختصين في البلاد العربية لحصر المخطوطات واختيار ما ينبغي تقديمه منها للنشر ، وتأليف لجنة أخرى لاختيار أمهات الكتب الأجنبية في العلم والأدب والفن لترجمتها إلى اللغة العربية ، وتسهيل نشر الكتب والمجلات والصحف العربية في مختلف البلاد العربية وإزالة القيود المفروضة على التصدير والاستيراد ، ومعالجة مشكلة تحويل النقد ، وعدم الحد من حرية التفكير والتداول إلا في الحدود التي يسوغها القانون

وتقرر تأليف لجنة برياسة معالي وزير المعارف المصرية وعضوية ممثلين للدول العربية ، للمعاونة على الإعداد للمؤتمر الثالث ويكون من عملها وضع كتاب عن خصائص الثقافة العربية ومقوماتها والمشكلات التي تواجهها في العصر الحاضر ،

ووضع كتاب فى وصف خصائص الثقافة الغربية للمقابلة والموازنة

ونظر المؤتمر فى تقرير لجنة الإعداد للحياة ، وقد لوحظ أنه أطال بذكر أمور تربوية مما هو معروف ومدون فى كتب التربية ، وهو يتضمن الحث على مقاومة النزعة الكلامية والاهتمام بالناحية العملية، وهو مع ذلك أكثر التقريرات كلاما ! وتتجه التوصيات فى هذا الموضوع إلى العمل على أن يكتسب الناشىء القدرة على ممارسة الحياة والمشاركة فى شؤونها ، وتضمنت هذه التوصيات أهمية العناية بإعداد المعلمين ، ورفع مستوى المدرسين ماديا واجتماعيا ، وعقد مؤتمر خاص بإعداد المعلم فى البلدان العربية .

وأقر المؤتمر تقرير لجنة التوسع فى التعليمين الثانوى والعالى، ومن توصياته فى هذا الموضوع أن يكون التعليم فى مرحلتيه الابتدائية والثانوية مجانيا ، وأن تكون المناهج ذات صلة وثيقة بالبيئة والحياة ، وأن يكون التعليم العالى حق للنابغين وذوى المواهب وعلى الحكومات أن تيسره لهم بإعفائهم من نفقاته ومنحهم المساعدات المالية ، ولخصت اللجنة عقبات التوسع فى المعلمين والمبانى والميزانية ، وأوصت بالتوسع فى إيفاد البعوث إلى الجامعات الأجنبية وفى استقدام الأساتذة الأجانب ، وذلك للتغلب على عقبة قلة الأساتذة الجامعيين .

ثم عقدت الجلسة الختامية برياسة معالى الدكتور طه حسين بك رئيس المؤتمر ، فتحدث ممثلو الوفود الرسمية حديث المودة والتحية والشكر ، ثم وقف معالى الرئيس فألقى كلمة أعرب فيها عن شعوره بالتقصير فى جانب الوفود العربية وأشاد بفضل العرب على مصر قائلا إن مصر إن قامت بشىء تحوكم فانما ترد الفضل فنكم تعلمنا أدب العرب وعنكم أخذنا الحضارة العربية، وقال معاليه للاعضاء : اننى أهنئكم بأمرين الأول خاص بالجهود التى بذلتموها والنتائج التى وصلتم اليها، وأهنئكم على أننى سأدرس القرارات التى اتخذتموها وسأعمل على انفاذها فوراً ولن أنتظر حتى تدرسها الجامعة العربية وتوصى بها لأننى مؤمن بها كما أنتم بها مؤمنون ، الأمر الثانى هو أنكم قد فرغتم من عناء الدرس والبحث فى المؤتمر وتستطيعون الآن أن تتفرقوا فى البلاد المصرية دون أن تأخذوا أنفسكم بشىء من القيود ودون أن يأخذكم شفيق بك غربال بالحزم .

وانتقل جميع الأعضاء على أثر ذلك إلى « كازينو سان استفانو » حيث تناولوا العشاء تلبية لدعوة معالى الرئيس ، وبعد العشاء ألقى الشاعر العراقى الكبير الاستاذ مهدى الجواهرى قصيدة مطولة عنوانها « تحية مصر » وهى قصيدة جيدة أعرب فيها عما يربط مصر والعراق من روابط الاخوة التى لاينال منها صنيع بعض الساسة الذى ينكره الشعب. وبعده القى معالى الدكتور طه حسين بك كلمة وصف فيها قصيدة الجواهرى بأنها جمعت بين طرائف العصر وجزالة العرب وكرر معاليه الدعوة إلى عقد المؤتمر الثالث فى مصر، وكان قد وجه هذه الدعوة أيضا فى جلسة المؤتمر، حتى يتاح لمصر أن تقدم للوفود من الحفاوة مالم يتح لها فى هذا المؤتمر

محاضرات المؤتمر

كانت المحاضرة الخامسة ، من المحاضرات العامة التى أعدت لتلقى فى خلال الأيام التى ينعقد فيها المؤتمر، هى محاضرة تربية النزعة العلمية لدى الشباب » للدكتور زكى نجيب محمود وقد بدأها بالتساؤل عن سبب تأخرنا عن الغرب ، وانتهى إلى أن هذا السبب إنما هو أننا نصدر فى أعمالنا وتصرفاتنا عن العاطفة ، قائلا : إن الشائبة التى تعيب كياننا وتضعف بنياننا هى « تضخم فى العواطف وانكماش فى العقل » وان العلاج الذى يطالب رجال التربية أن يتناولوا به الجيل الناشىء هو أن يحصروا العاطفة فى أضيق دائرة ممكنة ليفسحوا للعقل أوسع نطاق ممكن وقد عرف العاطفة بأنها الميل الشخصى الذاتى الذى لايؤيده شىء من الواقع كما لاينقضه شىء من الواقع وعرف العقل بأنه مجموعة الأقوال التى يمكن التحقيق من صوابها أو خطئها، وقال إن اوربا نهضت فى القرن السادس عشر لأنها نقصت عن نفسها غبار العقيدة (فسر العقيدة بأنها الرأى الذى يصدر عن عاطفة) لتلقى بزمامها إلى العقل ، وإن التقدم الذى أصابه الانسان إنما يرجع إلى تغيير نظرته إذ أصبح فى مجال البحث العلمى لايقبل القول إلا إذا اقتنعت به الحواس ورضى العقل ، وإننا إذا أردنا أن نلحق بركب التقدم يجب أن نصنع ماصنعت أوربا إبان نهضتها، فان حالتنا شبيهة بحالها إذ ذاك، نيجب أن ننزل عن الايمان بالقلب إلى الايمان بالعقل، والدعوة إلى العلم وحده هى الدعوة إلى المعرفة الصحيحة. ثم نددبالطريقة المدرسية

عندنا لأنها تعتمد على الحفظ سواء أكان المحفوظ قرآنا أم غيره فالمدارس لا تزال (كتاتيب) وقال : إن تربية الناشيء تربية علمية معناها ألا يسلم بعقيدة لأنها شائعة وألا يأخذ برأي لأنه رأي موقر بتوقير صاحبه بل يجب أن تقوم التربية على تحكيم العقل فيكون للناشيء حق النقد كيف شاء

ولاشك أن أساس المحاضرة سليم من حيث الدعوة إلى العلم والسير على مقتضى العقل، ومن حيث نقد ما يسود حياتنا على اختلاف نواحيها من عواطف حمقاء وعشواء ولكن الدكتور زكي نجيب قد غالى واشتط كدأبه فقلل من شأن العاطفة بل أنكرها كل الأنكار ، وجعل العقل وحده كل شيء في تقدم الانسان ورقيه وأسند تأخرنا إلى ما سماه « تضخم العواطف » والواقع أن عواطفنا المتضخمة التي تسوقنا إلى الخرافات والأوهام ليست هي العواطف المنشودة للانسانية والتي لا تكون الانسانية إلا بها، فالعاطفة المنشودة هي « العاطفة العاقلة » وإذا اعتبرنا هذا المعنى أمكن القول بأننا لا نصدر فيما نأتي وندع عن عاطفة ولا عن عقل

فليدع من يدعو إلى العقل وإلى العلم، وما أشد حاجتنا اليهما، ولكن كيف نعيش من غير عقيدة وقلب وعاطفة، وما موقفنا اذن من قيمنا ومثلنا الروحية؟ حقا أشار الدكتور زكي في المحاضرة إلى أنه لا ينكر أثر الأدب والفنون في ترقية الأذواق وتهذيب النفوس لكنه لم يبين كيف يتفق الاقرار بهذا مع انكار العاطفة والوجدان هل يريد «فنونا علمية» وكيف تكون ؟

ثم كيف يتجرد الناس من القلب الانساني وكيف تكون حياتهم إذا أسكتوا نبضه؟ وهل حقا يسير المجتمع الغربي — إذا سلمنا بأن لابد لنا من السير في أثره — بلا عاطفة؟ واذا احتج أحد بعصف السياسة وطغيان الاستعمار فهل الحياة الغربية كلها سياسة واستعمار ؟ وكانت المحاضرة الأخيرة هي محاضرة فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت عن « العنصر الروحي وصلته باعداد المواطن الصالح وقد بين فيها أثر الدين في تربية الناشيء وتحدث عن اعداد من سماه « الديني الخاص » وعنى به المختص بالثقافة الدينية وقال إنه لا يكفي في اعداده أن يتبحر في علوم الدين بل يجب أن توجه أكبر عناية إلى تربيته بحيث يمتزج الدين بقلبه كما يلم به عقله. ومما قاله أن العالم يحتاج إلى هداية يرجى أن تشع عليه من هذا الشرق .

الشغب في المؤتمر :

كانت محاضرة الدكتور زكي نجيب محمود مساء يوم الاثنين ، وكان المقرر أن يتلوه الأستاذ عبد العزيز القوصي بمحاضرة عن الأزمات النفسية بين طلبة المدارس الثانوية ، ولكن المحاضرة الأولى أثارت ضجة ، إذ اعتبرها بعض الأعضاء دعوة إلى الالحاد، وطلبوا أن يجرى التعليق عليها والمناقشة فيها مهما طال الوقت ولو أدى ذلك إلى تأخير المحاضرة الثانية ، ورأى الرئيس المشرف على المحاضرات، الأستاذ متى عقراوي، أن تلقى المحاضرة الثانية أولا ، وأيده في ذلك بعض الأعضاء ، ولكن طلاب المناقشة وقفوا بعنف وحالوا دون إلقاء المحاضرة ، وانقلبت هذه الضجة إلى عراك ، وأراد بعضهم أن « يتفاهم » بالأيدي والكراسي ... ثم انفض الجمع وأغلقت القاعة . وقد أدى ذلك إلى إلغاء محاضرة الأستاذ القوصي ، بل إلى إلغاء بقية المحاضرات ماعدا محاضرة الأستاذ الشيخ شلتوت التي ألقاها يوم الأربعاء .

ومما يذكر أن تلك «المهارشة» وقعت بين الأعضاء المصريين فقط ، وأنها امتداد للحملة أو العاصفة التي تحدثت عنها في الأسبوع الماضي ، ولم يفت الأعضاء غير المصريين أن يلاحظوا أن هذا الشغب يرجع إلى دوافع شخصية أو دوافع نفسية أو كليهما، ولم يفت أحد من العقلاء جميعاً أن يستنكر هذه الأساليب التي لا تليق بالمجتمعات الثقافية .

ومما يذكر أيضاً أن ذلك الشغب انقطع أو كاد بعد الحادث الذي وقع على أثر تلك المحاضرة ، وقد فهمت — من بعيد — أن انحسار الشغب عن المؤتمر بعد ذلك يرجع إلى أن معالي رئيس المؤتمر الدكتور طه حسين بك أبدى غضبه لهذه الحال بطريقة ما ، فعلموا أنه غير راض عن هذه التصرفات ، على خلاف ما كان يوعز إليهم !..

معرض الزخرفة الأثرية :

هو معرض روائع من عمل الفنان العراقي السيد يوسف محمود غلام ، وقد استدعته الإدارة الثقافية من بغداد ليعرض أعماله الفنية في المؤتمر الثقافي . وآسف لضيق المقام في هذا الأسبوع عن الحديث عن هذا المعرض العظيم ، غير أنه لابد الآن من

الى شهران :

ليتك ما تكلمت يا « هجران » فإنك لم تخرجي من تعقيب صاحب التعقيبات إلا بطائفة من الكلمات لا تقنع . أما الأجواء الفنية التي حلقت بينها الأجنحة النفسية فما تنوولت بإشارة تدل عليها ، كأن القضية لا تحتاج إلى نتيجة .. وأين الفن في أبيات صاغها « الحداد » من حديد ، فأتعبه الوزن ، وأعياه التكلف ، وخانه « النحو » . وكل واحدة من هؤلاء قاصمة لها في عالم الشعر كالذر في عالم الحرب .. وإني لحائر فأي ذوق فني في قول الحداد.

إرم عينيك يا سحاب — إن بكى قلب شاعر

أو قوله :

وأغنى ليزهـــدا بهتاف الضحى الهزار
وأين الواو العاطفة التي يفتقر إليها « ظمأى »

عندما يقول :

إن جوعى كوى الحجر ظمـأى جفف العيون

إن العنوان الحق الذي يليق برأس تلك المقطوعات لا يكون غير « هذيان » هذا إن قصد الإنصاف واعتدلت الموازين ، أما إن أريد غير ذلك فلا حرج في الإفتاء بجواز تجريد جواب الشرط من فائه .

ليتك ما تكلمت يا « هجران » فإن القلم يوشك أن يقرض اللجام ليكشف الغطاء عن «الأداء النفسي» وذاك أمر إن يبد يسؤ الأستاذ « المداوي »

وسلام عليك وعلى صاحب التعقيبات .

طنطا برقات

الاشارة إلى أن المعرض لا يزال في كلية الآداب بالشاطبي على رغم انفضاض المؤتمر ومجيء الأعضاء إلى القاهرة ، وصاحبه السيد غلام لا يزال حائراً ، وقد نفدت نفقته ولم يلق ما كان يؤمل من تشجيع أدبي وعون مالي ، أيعود إلى بغداد بعد أن أنفق على معرضه وعلى نفسه وولده نحو مائتي جنيه من جيبه ، أم ينتظر لفتة أحد من ذوي الشأن ينقل المعرض إلى القاهرة ، عسى ... ؟

عباس خضر

وفاة البارودي

نشرت الرسالة الغراء بالعدد ٨٩٥ بضعة سطور ظن كاتبها أنه قد استدرك علينا فيما نشرناه بالعدد ٨٩٣ من أن وفاة البارودي كانت في يوم الأثنين ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ فقال: أن هذه الوفاة كانت ليلة الثلاثاء ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٤ وكأننا بهذا الاستدراك (التجاري) قد احتملنا وزر تقديم تاريخ وفاة البارودي ساعة أو بعض ساعة !!

وقد كنا نود لو أن هذا الاستدراك قد ظهر منذ عشر سنين يوم أن كتب هيكل باشا في مقدمة الجزء الأول من ديوان البارودي الذي طبع سنة ١٩٤٠ أن الوفاة : كانت في الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر سنة ١٩٠٤ !!

إن الذي يتصدى لمثل هـذه الأمور يجب عليه أن يتحرى التحقيق البالغ لكي يصيب الغرض الذي يرمي إليه وهو ما توخيناه في تحقيق وفاة البارودي رحمه الله فقد رجعنا فيه إلى ثلاثة مصادر كبيرة لا يشك أحد في روايتها ولا يجادل مكابر في تحقيقها ، في حين أنه كان يكفي في هذا التحقيق مصدر واحد منها . وهذه المصادر هي مجلات : المقتطف والهلال والمنار .

أما المقتطف فقد قال في الصفحة ٧ من المجلد ٣٠ جزء يناير سنة ١٩٠٥ من ترجمة مستفيضة للبارودي بقلم العلامة الدكتور يعقوب صروف ما يأتي : « وعاد إلى القطر المصري ليموت فيه فقضى إلى رحمة ربه يوم الاثنين في الثاني عشر من الشهر (ديسمبر) ودفن بما يليق من الاكرام » وقال في الصفحة ٩٢ من جزء فبراير سنة ١٩٠٥ وهو يتكلم عن حفلة تأبينه ما يلي : - « وقد اجتمع الأدباء بدعوة الكاتب البليغ والشاعر المطبوع خليل أفندي مطران صاحب جريدة الجوائب المصرية في العشرين من يناير فتلوا ما نظموه من المراثي الخ » .

وقالت مجلة الهلال في الصفحة ٢٩١ من عدد فبراير سنة ١٩٠٥

(السنة الثالثة عشرة) من كلمة لصاحبها جورجي زيدان بك « وظل بين أهله وذويه حتى توفاه الله في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ ـ وفي الصفحة ٢٤٦ من هذا المجلد قالت المجلة « ونظراً لمنزلته الرفيعة في نفوس الشعراء فقد اجتمعوا على ضريحه في الإمام الشافعي يوم الأربعين من وفاته الموافق ٢٠ يناير الخ » .

أما مجلة المنار فقد زادت الأمر تحقيقاً وبالغت فيه اثباتاً ، ذلك أنها ذكرت في الصفحة ٨٣٢ من المجلد السابع ما نصه : توفاه الله تعالى في يوم الاثنين لخمس خلون من شهر شوال (سنة ١٣٢٢) فشيعت جنازته باحتفال عظيم وصلى عليه الأستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) ولم أره صلى على ميت غيره إلا مأموماً ، وسيجتمع شعراء مصر وأدباؤها في اليوم (التاسع والثلاثين) لموته (الجمعة ١٤ ذي القعدة - ٢٠ يناير) عند ضريحه ويؤبنونه ويرثونه الخ » فأنظر إلى هذا التحقيق الذي تحراه صاحب هذه المجلة وهو العلامة الجليل السيد رشيد رضا رحمه الله فإنه بعد أن ذكر أن وفاته كانت يوم الاثنين الموافق ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ لم يقل كما قال غيره أن حفلة تأبينه كانت في ٢٠ يناير الذي هو يوم الأربعين ، وإنما قال إنها كانت في اليوم التاسع والثلاثين لموته ، وذلك لأن الأيام الباقية من شهر ديسمبر بعد اليوم الذي توفي فيه تبلغ تسعة عشر يوما فإذا ضم إليها ٢٠ يوماً من شهر يناير كان مجموع ذلك ٣٩ يوماً

وأن لرواية هذا الامام لمنزلة محترمة من التقدير والثقة فإنه على دقته المعروفة عنه كان صديقاً حميما للبارودي وكان كذلك في مقدمة من شيعوا جنازته هو وأستاذه الإمام محمد عبده

أما ما جاء في ظهر الورقة (و) من مقدمة الجزء الأول من ديوان البارودي فهذا لايعول عليه ولا يؤخذ به وقد طلعنا على هذا الجزء عند ظهوره في سنة ١٩١٦ وأغضينا طرفنا حينئذ عما جاء به شارح الديوان في المقدمة مما أساء به إلى البارودي (وقصيدته) !! رحمها الله ، وانتقدنا بعض ما شرحه ونشرناه في جريدة السفور وكنا نريد المضي في هذا النقد ولكن الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبدالرازق رحمه الله رغب إلينا أن نكف عن نقده بكلمة رقيقة (١)

هذا هو الحق في أمر تاريخ وفاة البارودي ننشره على قراء الرسالة وفي بعضه عنيـة لمن أراد أن يقنع أو يقتنع بأن الوفاة قد كانت في يوم الاثنين ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤

المنصورة — محمود ابو ريه

سويا تؤدي معنى معا

خطأ أديب بالعدد ٨٩٥ من الرسالة استعمال كلمة « سوياً » بمعنى « معاً » ، وبعد أن أورد جملة من قصة مترجمة يقلمي بعدد سابق من الرسالة استعملت فيها كلمة « سوياً » بمعنى معاً قال (إن الذي تراه اللغة في مثل هذا أن تكون كلمة معاً هي التي يليق بها أن تحل محـــل سوياً لا العكس في الترجمة لكلمة ensemble فهي التي تؤدي المعنى المراد) ا..

ولهذا الأديب أقول إن استعمال كلمة سوياً بمعنى معاً استعمال صحيح لا غبار عليه يشهد لذلك قوله تعالى في سورة مريم « قال رب اجعل لي آية ، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً » والتقدير « ثلاث ليال وأيام سوياً » . ذلك أن ذكر الليالي والأيام في آل عمران يدل على أن المنع من الكلام استمر ثلاثة أيام ولياليهن ا فذكر الأيام يتناول ما بإزائها من الليالي وكذلك ذكر الليالي يتناول ما بإزائها من الأيام عرفاً ا فيكون المعنى المراد من الآية إذن هو الامتناع من الكلام « ثلاث ليـال وأيام معاً » وحينئذ يكون استعمال كلمة سوياً بمعنى معاً استعمال صحيح ا .

ولا عبرة بما يذهب إليه بعض المفسرين من تفسير سوياً في الآية الكريمة بأنها حال من ضمير « تكلم » للتعسف الظاهر في هذا التفسير ولا تطباق السياق على الوجه الذي أوضحناه .

المنصورة — كمال رستم

---

١) راجع جريدة السفور العدد ٨٢ الصادر في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٦

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

النشر في محطات ومطبوعات المصلحة

لقد نجحت المصلحة فى أبتكار أحدث الوسائل وانتقاء أبرز الأماكن المعدة للنشر فأولت اهتماما خاصاً بمحطاتها فنسقتها وغرست حولها الحدائق فزادت من حسن منظرها وبديع رونقها حتى أصبحت تضارع أعظم محطات العالم مما حدا إلى اقبال الجمهور والشركات على اختلاف أنواعها وأصحاب البيوتات التجارية إلى الاعلان فيها بأسعار غاية فى الاعتدال.

هذا فضلا عن المطبوعات والنشرات المختلفة التى تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل وخارج القطر

ولا يخفى أن الاعلان فى تلك المطبوعات لا يقدر بثمن لأهميته وجليل فائدته

ولزيادة الاستعلام خابروا — قسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة